824.8
A94maAb
C.1

824.8
A94maAb
C.1
NO 5 54
NO 19 54
FF 27
AP 20
JA 25 57
F 15 66

824.8
A94maAb
C.1

AMERICAN UNIVERSITY OF BEIRUT LIBRARY

معنى الحياة

كتاب اخلاقي يبحث في شؤون الحياة اليومية

تأليف

اللورد اڤبري

العلامة الشهير وفيلسوف الحياة اليومية صاحب « مسرات الحياة »
و « السعادة والسلام » و « محاسن الطبيعة » الخ

معرَّب بتصرُّف

بقلم

وديع افندي البستاني

معرب « السعادة والسلام » و « مسرات الحياة »
و « رباعيات عمر الخيام »

« الطبعة الثانية »

67152

يطلب من ملتزم طبعه ونشره

نجيب مترى

صاحب مكتبة ومطبعة المعارف بأول شارع الفجالة بمصر

مطبعة المعارف بشارع الفجالة بمصر

Cat. 1946

AMERICAN UNIVERSITY OF BEIRUT LIBRARY

كلمة الاهداء [1]

اليك يا نسبي الفاضل أُهدي باكورة اجتهادي . وما قيمتها الاَّ في دلالتها على اجلالي لك وعلى حبي واخلاصي النفسيين لا الدمويين فقط . فاقبلها ، وابقَ مثالاً لي ولاخواني الشبان ، نعتبره فنفهم معنى الحياة ، اطال الله حياتك ؟

وديع البستاني

---

(١) هي نفس الكلمة المثبتة في الطبعة الأُولى و « معنى الحياة » أول معرّبات المهدي

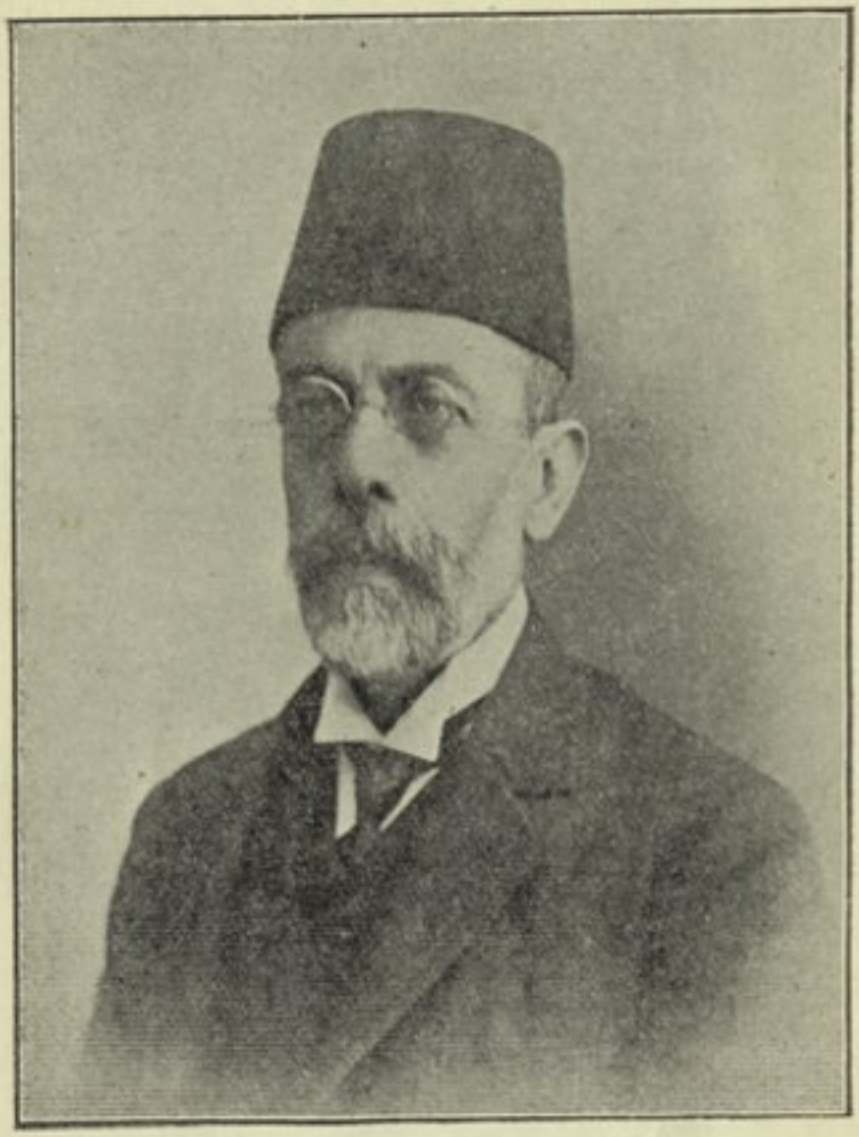

سليمان افندى البستانى

العضو في مجلس الاعيان العثماني

ومعرّب الالياذة وصاحب عبرة وذكرى الخ

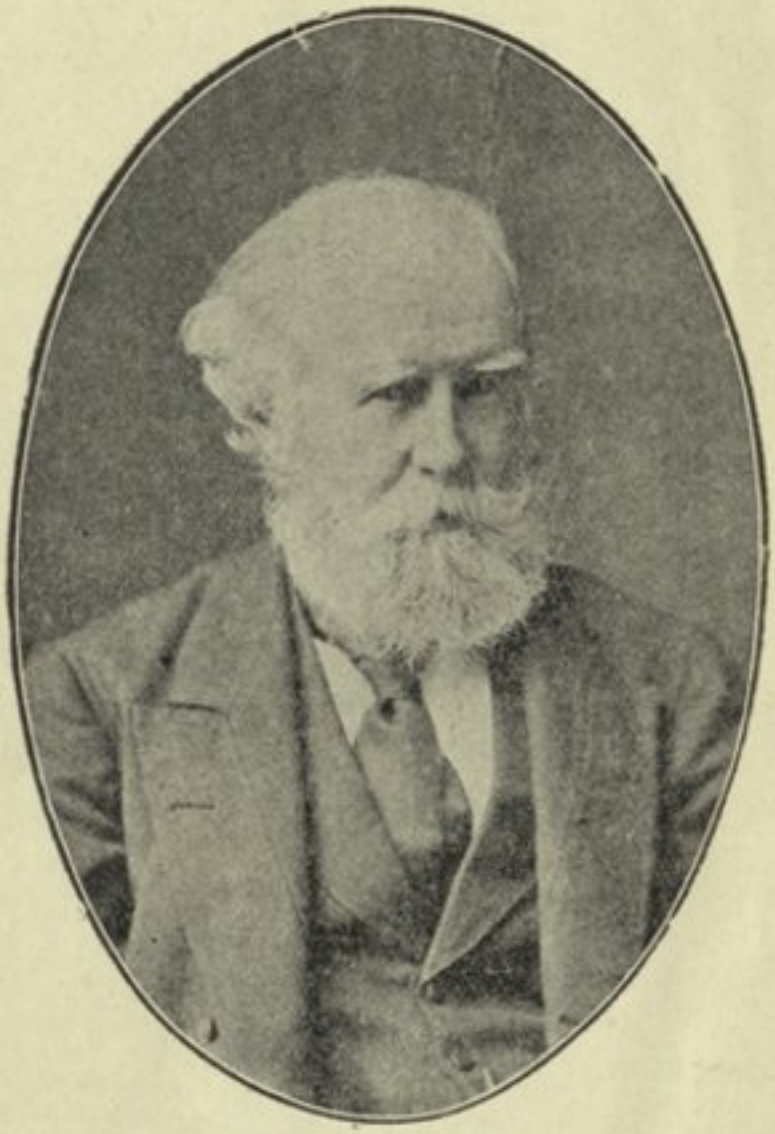

اللورد افبری

كلمة للناشر

منذ سنة تقريباً وقعت في يدي نسخة من هذا الكتاب فأعجبني موضوعه وطالعتهُ بكل سرور ووددتُ لو كثرت أمثاله بين المطبوعات العصرية . ولم ألبث ان عرفتُ معرّبه شخصيًا وطلبتُ اليهِ ان يأتيني بما لديهِ من النسخ ففعل وأخذتُ أهتمُّ لنشره بين تلامذة المدارس والأحداث الذين لا أنفعَ لهم من مثل هذه الكتب الاخلاقية المفيدة

وقد سرَّني اقبال القرَّاء عليهِ وعزمتُ على اعادة طبعه فأعلنتُ عزمي لحضرة المعرِّب وكان اذ ذاك على وشك الفراغ من تعريب « مسرَّات الحياة » وعلى أهبة السفر الى اوربا فأعاد النظر فيهِ ونقحهُ وصحح ما شاب طبعته الأولى من الخطإِ المطبعي ، فها نحن اليوم نزفُّهُ الى الناشئين المصرية والسورية كتاباً صغير الحجم زهيد الثمن كثير النفع عظيم الفائدة ، والسلام

نجيب متري

مصر في ٢٧ ابريل سنة ١٩١٢

مقدمة الطبعة الاولى

أخي في الشباب !

يا أخي، انت في ربيع الحياةِ ... وقليل ما عشت من سنواتِ
عشت ما عشت والسلام على المـــاضي واهلاً بكل يوم آتِ
وحياة الانسان تمضي سريعاً ... كل عامٍ منهـا عتيد الفواتِ
ليس يدري الانسان في اي يوم ... او مكانٍ يذوق كأس الممات
وتراني كما أراكَ محبـاً ... صفو عيشٍ يطول قبل الوفاةِ
فاذا رمت ان تعيش طويلاً ... بل سعيداً فافهمْ معاني الحياةِ
والكتاب الذي لديك المعاني ... قد جلاها فأصبحت وأضحاتِ
فهمتهـا نفسي جليًّا وقالتْ ... لي « لماذا تخفى على اخواتي ؟
انا نفس محبةٌ كل نفس ... كل حيٍّ حتى حقير النباتِ
فهو فرضٌ عليك لا بد منهُ ... واجبٌ نقلها من الواجباتِ »
فسمعتُ الندا العميق بصدري ... ووعدت الداعي بلا كلمـاتِ
كان وعدي فكراً فأصبح عزماً ... فاشتغالاً فهـذه الصفحاتِ
وكذا انت ان نويت فعزماً ... واجتهاداً تحقق النياتِ
يا أخي يا أخي اليك دعائي ... أوَليست أقلامنـا ناطقاتِ
فأجبني وان قرأتَ كتابي ... فجوابٌ بساكن الأصواتِ

بيروت (الكلّية)

وديع البستاني

مقدمة الطبعة الثانية

الكتب أنواع ، وأنفعها للبلاد الاخلاقية منها ، لأن الأمة بأخلاقها ، ولأن شابَّ اليوم رجل الغد . عرفتُ هذه الحقيقة فآليتُ ان أقصر خدمتي لبلادي على وضع « الكتب الاخلاقية » بين أيدي اخواني الشبان ، راجياً ان يعود اقبالهم عليها بالنفع العميم على ذواتهم أولاً وعلى البلاد بالتالي ، لأن ترقية البلاد بترقية الافراد

ففي سنة ١٩٠٩ عرَّبتُ هذا الكتاب وطبعتهُ في بيروت ، ثمَّ جئتُ مصر وعرَّبتُ « السعادة والسلام » وطبعتهُ في أواخر السنة الماضية ، وكانت ثمرة هذا العام « مسرَّات الحياة » الذي صدر منذ بضعة أشهر

والكتب الثلاثة لمؤلف واحد ، هو اللورد اڤبري ، ذلك العالم الكبير ، المعروف بفيلسوف الحياة اليومية . وهو اليوم شيخ جليل على أبواب الثمانين من سنيهِ ، واخالهُ أشهر من ان يُعرَّف . وانما أشرتُ الى سنهِ إشارةً لما يجب ان يكون لأقواله من الاعتبار في نفوس الأحداث والشبان

وكان استئذاني اياه بتعريب هـذا الكتاب أوَّل ما لقيتُ من التشجيع في هذا السبيل . ففي ربيع عام ١٩٠٩ بعثتُ اليـهِ بقصيدة

انكليزية أشعرتُه فيها بافتقار اللغة العربية الى مثل كتابهِ ، فأجابني الى طلبي وانحفني بنسخة من مؤلفهِ الآخر « مسرّات الحياة »

أجل انهُ شجعني ووطّد عزمي بالتصريح لي بنقل كتبهِ الى لغتنا العزيزة ، وبرسائله اللطيفة التي كانت تردني ردًّا على قصائدي الانكليزية لأنني لم أخاطبهُ الاَّ بشعر لغتهِ . أما التشجيع الذي لقيتهُ من غيره ، فقد كان اقبال بعض رؤساء المدارس في سوريا على هذا الكتاب وتوزيعه جوائز على التلامذة ، واهتمام نجيب أفندي متري صاحب مكتبة ومطبعة المعارف بمصر بنشره بين الناشئة المصرية ، بحيث نفدت طبعته الأولى واقتضت الحال اعادة طبعه

ولا اخفي على المطالع انني كنتُ ضمن أسوار المدرسة حين عرَّبتُ هذا الكتاب وطبعتهُ، ولذا فقد خطر لي ان أنقحهُ قبل اعادة طبعه ففعلتُ . على انني قصرتُ التنقيح على ابدال بعض الالفاظ بغيرها مما يؤدي معناها الأصلي ويكون تحسيناً للعبارة العربية

وهنا أودُّ ان ألفت أنظار القرّاء الكرام الى ان المسلك الذي سلكتهُ في تعريب هذا الكتاب هو غير الذي سلكتهُ في تعريب أخويهِ « السعادة والسلام » و « مسرّات الحياة » . ومن ينظر الى مقدّمة الطبعة الأولى يعلم انني قصدتُ بتعريبه الى خدمة اخواني الأحداث ، وتوصلاً الى هذه الغاية آثرتُ ان أجعل عبارته سهلة وقريبة من القلوب والافهام ، وجعلتُ لكل قطعة عبارة او كلمة تعدّ

الفكر لفهم مضمونهـا . وقد كنتُ أعنى لتأدية مراد المؤلف لدرجة ان ظهرتْ على عبارة التعريب مسحة الأسلوب الغربي في التعبير ، فعدتُ في التنقيح أُعنى لمحو تلك المسحة حيث امكن ذلك . ولعلَّ من يذكر ان مضمون الكتاب خواطر وأفكار حكمية يلتمس لي عذراً مقبولاً في جعل عبارة الكتاب من هذا الاسلوب ، وتنسيقه على هذا النمط

وقد كنتُ أودُّ لولا ضيق المقـام ان أشفع هذه المقدمة بكلمة موجزة في التعريب وأصوله

فهذه هي الطبعة الثانية من كتاب معنى الحياة أزفّها الى الاحداث الذين يعرفون قيمة الكتب الاخلاقية وفوائدها ، والى الآباء ورؤساء المدارس الذين يريدون نفع البلاد بترقية اخلاق الافراد والسلام

وديع البستاني

مصر في ٢٧ ابريل (نيسان) سنة ١٩١٢

الفصل الاول

« المسألة العظمى »

أي شيء أحب للانسان من حياةٍ ومن ممات أكرَهْ
وهو فهمَ الحياة ليس يُعاني وعلى فهمها كم الموت أكرَهْ

***

ان طول حياة الانسان ، وسعادة حياة الانسان ، له وعليه ، لا للاحوال ولا للاحكام

وان الذين يبحثون عن حتفهم بظلفهم ، ويستعيضون عن بلسمهم بسمهم ، لاكثر بما لا يحصى من اولئك الذين تسوقهم الأقدار الى منايام عوضاً عن امانيّهم ، ويظلمهم دهرهم بقضاء مبرم وحكمٍ نافذ . ولئن دكّت الصواعق منازل ، ودمّرت الزلازل اقطاراً ، فطالما طالت يد الانسان الأثيمة الى ثلّ عروش ، واعدام اكواخ ، وابادة بلدان برمتها ، وقرض اقوامٍ عن بكرة ابيها

فلا بدع ، اذ هذا ان قلنا مع سينكا الفيلسوف الروماني القديم ، أن ألدّ عدوٍ لابن آدم هو ذلك الكامن بين حنايا ضلوعهِ ، المتربّص في قلعة صدره ، كلا — ولا يصعب علينا ان نذهب مع لابرويير الى ان كثيرين من الناس ينفقون اوقاتهم ، ويبذلون قواهم ،

في سبيل اشقاء بني جلدتهم ، واتعاسهم

هذا من حيث الشر الصادر عن انسان ، الوارد الى آخر . ولكن هنالك آفاتٍ ، لا تسعى فتلسع ، بل تلدغ مَن احتضنها ، وهو يكاد لا يوجس منهـا ادنى خيفة ، او كأنهُ يدري ولا يدري . فكم من عظام شيخ نخرة بالية ، تتألم لما عاجلها من الانحلال ، وتتظلّم من دم الشبيبة الفائر الثائر ، الذي عرَّضها بغلواتهِ لما كان يجب اتقاؤه . وقد فاز هو بما اشتهى ، وغادرها يتعذر عليها ما تشتهي ! يطلب الشيخ القوَّة ، في إبَّان حاجته اليها ، فيصفق صفقة الخسران ، ويعضُّ اصابع الندم ، لمـا جازف بها ايام شبابه ، بان باعها قنطاراً بدرهم من اللذة الزمنية ، وما كان أولاها بالعكس !

وحاشا لي ان آتي مصداقاً لما رُشقتُ بهِ ، من اني لا انظر الى الدنيا الاَّ من جهة حسناتها ، طاوياً كشحاً على سيئاتها . وحبذا لو أُتيح لي أن أنفي وجود المصائب والكروب ، واكون صادقاً . بيد انني لست من المتسلّين بلو ولا من المُنيطين امورهم بلعلّ وعسى . ولا مراء ان امرَّ كلمات يمجّها الفم ، ويتلعثم بنطقها اللسان ، ويثقل سماعها على الاذن ، ويصطكُّ في خطها القلم ، وتنقبض عند قراءتها النفس ، هي هذه : ليتني فعلت ! ليتني لم أفعل ! سنحت لي الفُرص وما اغتنمتها !

ويغلب ان لا يكون الشر المرهوبُ ، الاَّ الخير المرغوب ،

حاصلاً في غير محله ، او في غير أوانهِ ، او متجاوزاً حدوده . إعتبر ذلك بالطيش والتهوّر ، بمقابلة الشجـاعة والاقدام ، وبالسخف والضعف ، بازاء المحبة والرأفة ، وبالاسراف والتبذير ، تجاه الجود والكرم ، وبالبخل والتقتير ، حذاء الاقتصاد والاعتدال . وهو من الأمثال السائرة ، ان ما يترشّفه الواحد هنيئاً مريئاً ، قد يغصّ ويختنق بهِ الآخر ، وان لكل شيء زماناً ومكاناً لا يحسن الاَّ فيهما . وهو من النواميس الطبيعية ، ان تزلّ القدم بماشٍ ، فيقع ويدقّ عظمه ، ويرضّ لحمه . والطبيعة قسطاس العدل ، لا تعرف الرحمة ، ولا المحاباة

لكن لومنا على أنفسنا

أَلِفَ الفرس قديماً ان ينسبوا سعادتهم الى اورمزد ، روح الخير ، وشقاءهم الى اهرمان شيطان الشر . ولكنهُ من المحقق عند ابن القرن العشرين ، ان سقطات المرء ، وهفواته ، وزلاته ، سواء أتت عمداً أم عفواً ، هيَ ، لا غيرهـا ، مدعاة لمصائبه ، وبلاياه . أوَليس من الأفعال الوخيمة العواقب ، ما نعرفهُ حتماً كذلك ولا نرتدع عنهُ ، وما يلتبس علينا أمرُه ، فتسوّل لنـا النفس الإقبال عليهِ ، على غير بصيرة من نتائجه ؟ وان في الطبيعة البشرية المتنسمة الصلاح من روح الله ، او ذلك الضمير المدعو بصوت الله في الانسان ، لخير وازعٍ ورادعٍ للمرء ، يأمره بالمعروف المفيـد ، وينهاه عن المنكر المضرّ .

ولنا في قوة الادراك ، وقوة المقابلة والتعليل ، المبني عليها الحكم والاختيار ، مُعينٌ آخر يرشدنا الى الحسن ، وينكّب بنا عن السيئ

ولا خفاء ان هذه القوى لا تخلق في المرء كاملةً للغاية ، بل ان التثقيف بالعلم والاختبار مما يدنيها من الكمال الضروري ، لدرجة تمييز الغث من السمين والطيب من الخبيث

وبكلمة انهُ يتسنى للمرء ان يتجنب الكثير من مهالك التصرفات بفضل ما يمحضهُ اياه أبواه ، واصفياؤه ، واوصياء أمره ، من خالص النصح ، وسديد الارشاد . على ان ذلك وحده ، لا يكفل عدم عدول الضارب في مفاوز هذه الحياة ، عن جادَّة الأمن ، وقد لا يُقيله عثراته اذا عثر . وانما الحكمة كل الحكمة ، في ان يعرف المرء ان له نفساً ، هو نفسه المسؤول عن تهذيب اخلاقها ، وتشذيب عواطفها ، وتثقيف مواهبها

ولا يغترنَّ خرّيج اي مدرسةٍ باحرازه قصب السبق على أقرانهِ ، وبنيله اي شهادة او رتبة علمية . فان الاختبار قد كشف القناع عن حقيقة نيّرة باهرة ، جديرة بأن ترسم بأحرف من ذهب على باب كل معهد علمي ، ألا وهي : ان المنتهي من المدرسة هو المبتدئ في العالم ، المنخرط في سلك كثيرين من أمثاله ، وان عليهِ كغيره ان يفتح أبواب صدره من جديد ، وهذه المرة على ملئها ، ليتلقى الدروس التي يلقيها الزمان ، والمثائل التي تلقنها الأيام

القضآء والقدر

بعض الشعوب تعتقد بصولة القضآء والقدر ، وتعتبر الانسان كآلة ، او كلعبة تديرها وتقلّبها يد القدرة العلوية ، كيف تشاء . فلنقف نتأمل !

قال جان رختر : ان الانسان هو الانسان ، وربُّ امور نفسه . فلهُ ان يجعل حياته مواكب فوز وانتصارات ، او مآتِمَ تقصيرات واندحارات . وانْ هذه الاَّ مشيئة الله ، جلَّت حكمته ، في الجبلة البشرية . وحسبنا ما وهبنا اياه مع العقل والنطق من شعائر ضميرٍ حي هو لنا بمثابة وزير خبير محنَّكٍ ، سديد الرأي ، صائبه

واذا ثبت ، ان لنا بعض السلطة على حاضر امورنا ومستقبلها ، ترتب علينا ، ان نسبر غور أنفسنا ، وان نمحصها تمحيصاً ، بحثاً عما نحبُّ ان نصير اليهِ ، وعن السبيل الى ذلك . والناس من هذا القبيل فريقان : فريق ذوي المقاصد ، المتطلبين شأواً الرَّامين الى غاية ، وفريق القائلين « دع التقادير تجري في أعنتها » . ومن البديهيّ المقرَّر ، ان أوَّل واجباتنا وأقدسها ، بل اكبر حق لنا كابناء الانسانية الحقة ، هو ان نستخرج من أنفسنا ثمالة ما فيها من الخير والنفع ، وان نستنفد ما لدينا مما يروق ويفيد

والتاريخ يحذّرنا من العزم على ذلك طمعاً بتحقيق آمال افتخار باطل . فان المجدّين في أثر الاعمال المجيدة ، حبًّا بالتمجد والاستئثار

بالشهرة لا غير ، لقلما يفلحون . وان النفوس الكبيرة التي لا تزال تجهلها ونكبرها ، ونستدرُّ فوائد آثارها كنفس افلاطون ، وارسطو ، وبوذا ، وبولس الرسول ، لما كانت كذلك لو كان اجتهاد أصحابها مقصوراً على الرغبة في احراز مآرب نفسانية ، دون التفاني في خدمة الحق والحقيقة

النصح

يروى ان رعيَّةً سئلت عن قسيسها فأجابت : قضينا عليهِ لفرط ما قدَّم لنا من الارشادات والنصائح

ولكن لا مشاحَّة ان من يستنكفون من الأخذ بالنصائح المبذولة لهم مجاناً في يومهم ، يأتيهم وقت يشتهون فيهِ ان ينالوها ولو ببذل النفس وكل نفيس لديهم ، وما ذلك الاَّ وقت التندُّم والتأسف على ما فات

وجلُّ قصدي في تأليف هذا الكتيِّب ، ان أعرض ما يخطر لي من الفوائد والمشورات ، على جمهور الأحداث خصوصاً ، ولا سيما على ذوي المقاصد منهم

تبين حقيقة الاحوال

ومن البلية ان يبلغ جهل الانسان لماهية السعادة ، وكيفية التمتع ببركاتها مبلغ ان تحدق بهِ أسبابها من كل جانب ، وتسنح له فرص

الاخذ بنواصيها مع كل سانحة ، فلا يعمل على جمع أسبابها المتفرّقة ، ولا على تعرُّف وجهها الصبوح

وخير ما يقال بهذا الصدد ، أن السعادة ليست نتيجة ائتلاف ظروف واتفاق أحوال ، بل هي حالة من أحوال النفس لا اكثر . وفي رأي أحدهم ، ان السعادة تقوم بتكييف أنفسنا ، وتهيئة ذواتنا ، بالنسبة الى محيطنا . وهو من العبث المحال ، ان نحاول قلب ما حولنا لكي يوافقنا هو ، وينطبق على أذواقنا ومطالبنا

وقد أغنانا العلامة هيوم بقوله : ان مجرَّد النظر الى الحياة بعين قنوعة راضية يساوي راتب ١٠٠٠٠ جنيه سنويًا

فجرّب ان تتعرَّف كل ما لديك من الآلآء والنعم ، يتبين لك ما لم يكن في حسبانك ، ولا خطر لك ببال . وكم من ذوات بالٍ لا تدرك قيمتها ، الاَّ ساعة تندم على فواتها

السعادة الوهمية

ولكن حذارِ حذارِ من الاستغناء بالمسرَّات الوهمية ، عن المسرَّات الحقيقية . ولا غرو اننا بقصد المسرَّة احياناً نفعل أفعالاً ليس فيها من السرور الاَّ الاسم . وكم من كسول معطال ، يفتخر بأن قضى سحابة نهاره ، جذلاً مسروراً ، لأنهُ لم يتحرَّك لعمل من الاعمال . وكم من متورّطٍ بالملذَّات الجسدية ، يحسبها وحدها ينابيع

المسرّات ومصادر السعادة ، وقد فاتهُ ان لذّة العقل ولذّة الروح ولذّة النفس ، أوفر وأبقى وأسمى بما لا يقاس

فلتعملْ اذاً على ايجاد رغائب محمودةٍ لنفسك ، تسعى الى ادراكها ، بدلاً من التمرّغ في حمأة الشهوات ، والملاذ الزمنية الموبقة

الانسان جحود جاهل

نُعطى جسماً صحيحاً ، فلا نعتّم ان نتركه معتلاً ، وعقلاً سليماً ، فلا نلبث ان نغادره سقيماً . مُغدقات النِعم تكتنفنا من كل جهة ، ونحن عن التمتع بها قاعدون غافلون . وليت شعري ! هل (نحن الانكليز) نستفيد بقدر النصف فقط مما يمكن ان نستفيده من التصوير والحفر ، والنقش والموسيقى ، تنزيهاً لنفوسنا التي من طبعها حب الاتقان والإعجاب بالمتقنات الجميلة ؟ بل ان الانسان يحقر آيات الجمال المرسومة على الواح الطبيعة حواليهِ ، وتكاد لا تبهجهُ مناظر السماء المعروضة فوق رأسهِ

نفتخر بما لنا من العقل ، علاوة على الغرائز الحيوانية . ولكن يا للعار ! أي سعادة نستدرّها من ضرع العقل ، ونغذي بها نفوسنا ؟ بل يا للأسف ! ان هذه الميزة نفسها أمست لنا مصدر آلام ، وعذابات ، لما يتناوبنا بسببها من رعدة الخوف ، وضيقات الشك والريب والانهماك والقلق والاضطراب ، مما لا ينال الحيوان بشيء . قيل

الانسان يمشي في ظل باطل ، ويشقي نفسهُ لِلاَشيء . والحقيقة اننا بالنسبة لما يزال مستوراً عن أفهامنا ، لجهلاء أغبياء . فالواجب ان نصبر على جهلنا ، ونعيش بما اوتيناه من المعرفة مهما كان زهيداً

مطليات الرذائل

الرذيلة بحد ذاتها مخيفة وكريهة ، تهرب منها النفس وتعافها . ولكن هناك رذائل تتلبس بالفضائل ، وتظهر بردائها ، فتغرُّ من يغترّ وتغتاله ، فمن هذه ينبغي الحذر كل الحذر . رأى بعضهم ان الطفل ملاك طاهر . ومهما كان من صحة هذا الرأي وعدمها ، فانهُ بلا ريب صعب الاحتمال ان يستحيل الانسان من صالح الى طالحٍ في يوم واحد . لأن طبيعة الخير فيهِ ليست سهلة الامحاء لهذا الحد

الامتيازات الانسانية

قال الفيلسوف اسحق نيوتن : ان الناس مع كل ما بلغوه من المعرفة وتوصلوا اليهِ من الاكتشافات ، ليسوا الاَّ اولاداً صغاراً ، يلتقطون الأصداف والأعشاب التي ينبذها ويقذف بها بحر الحقائق ، وخضم المجهولات من حين الى آخر

نعيش بين العناصر المختلفة ، والمواد المتنوّعة ، وليس من مادة واحدة نعرف عنها كل ما يمكن ان يُعرف . فها البخار ، بعد ان استمرَّ يتصاعد من البحار قروناً غير معدودة ، وظلَّ يرتفع من أفواه القُدَر

والجفان أجيالاً اثر أجيال، عثر باحث على بعض خاصياته، فأخذت تتوالى استخداماته، وتتفاوت منافعه. ولكن هل قضينا اللبانة منهُ، ام فيهِ أمل لباحثٍ ومستنبط بعد؟ واليكَ مثالاً آخر، الكهربائية الأزلية الأبدية الوجود، فانها لم يُستطلع طالع امرها الاَّ منذ عهد قريب، ولا نخالها الاَّ مستغرقة كل المستقبل، لاستعلان أسرارها، وجهد ضرع منافعها. ويقال الاكتشاف مغطىً بقشة، وليتَ شعري كم من قشة باقية غير مزاحة نمرُّ بها ولا علم لنا بما تستره عنا من الكنوز؟

ومن عسى ان يزيل تلك الغشاوة النحيفة عن عيون الناس، او ذلك البرقع عن وجه الحقيقة، فيكون بذلك ارتداع الأمم عن شرّ الحروب، والاكتفاء من مصائبها وخسائرها الفادحة

التعليم والاخلاق

لقد بلغ بنا تساهلنا المدرسي في الأمور الأدبية المحضة، والدينية مما يتعلق بتصرُّفات الشخص وسلوكه، درجة ان بات الغرُّ منا يعلل لنفسه كما يشاء جواز تصرفاته الآثلة الى نفعهِ الخاص أحياناً، والى هلاكه الشخصي اخرى، والى الإجحاف بحقوق الغير دائماً. فكأنهُ يقول في نفسهِ: ان عدولي عن خطة الاعتدال في ما خصّ جسمي لما تخولني حقَّهُ حريتي الشخصية، وفعلي تلك المحرّمات، على يقين

اختفائها عن أعين الملأ مما يوفّر ثروتي، الى غير ذلك مما يميت الضمير ويترك القائل الفاعل نذلاً ساقطاً لا يلبث ان يشفّ ثوب خبثهِ وريائهِ عن حقيقة خلقهِ

لا رجولية فى اتيان المنكرات

يتوهم بعض الشبان ان إتيان المنكرات ، والاقبال على بعض الرذائل على ما فيها من المخاطرة والتغرير بالنفس ، يتوهمون وإن هم الاَّ متوهمين أن ذلك مظهر من مظاهر الرجولية . والحقيقة ان أغبى الاغبياء ، واندل الاندال ، يمكنهُ ان يكون رذيلاً ، بل الرذيل هو اياه بعينهِ . وانما البطل الشهم ، والرجل الحق ، هو الخائف المتنحي عن فعل ما تحتقره طباعه السامية وتأباه خلاله الشريفة

وليعلم الملقون حبل النفس على غاربهِ ، السارحون المارحون في هواء أهوائهم ، انهم هم المقيدون بأغلال الحق وسلاسل الانسانية العادلة الحاكمة عليهم بالاحتقار والامتهان ، وان كانوا لا يشعرون . أما الحرية نِعم الحرية ، فبالانطلاق الى الفضائل والمستحسنات كل انطلاق ، وبالانحباس عن ضدها كل انحباس

الخطيئة والشقاء حليفان

وقد جاءت نصوص الوحي مؤيدة لهذا الزعم . ناهيك بما في حالة الاشرار حتى في هذه الدنيا من النكد والتعس والبلاء ، من العبرة

لمعتبر . فأي سارق ، ام أي زانٍ ، ام متعدٍ لحدود غيره او نفسهِ على الاطلاق ، يُغبط ويحسد ؟ بل مَن مِن هؤلاء لا تأخذنا الشفقة عليهِ اذا تركنا وجوب احتقاره جانباً ؟

مبادىء ديكارت

أولاً – أذعن لشرائع الديانة التي ربيت عليها

ثانياً – إعمل كلما سنحت لك فرصة العمل وبكل طاقتكَ ، وبأوفر ما يتيسر لك من الحكمة والتدبير ، غير مبالٍ بالنتائج سواء أتت مكافئة لاجتهادك ام لم تأتِ

ثالثاً – أقصد الى السعادة ، عن طريق تعيين الأميال ، وبعد تبيّن شأوك منها ، لئلاَّ تضلّ وتنيه عن كل قصدٍ بتطلب كل امنيّة ، ومحاولة تحقيق كل رجاء

رابعاً – ليكن سعيك وراء الحقائق شغلك الشاغل مدى الحياة

نصائح للى

١ً – نَمْ مع الحمل ، وانهض مع العصفور

٢ً – كن جذلاً متهللاً ولكن باحتشام

٣ً – كن وقوراً متحفظاً ولكن دون درجة الشكاسة والتكبر

٤ً – كن مقداماً غير متسرّع ولا متهوّر

٥ً – ليكن مظهرُك أنيقاً لدرجة ارضاء الناس لا اعجابهم

٦ً - وليكن طعامك مغذياً ، لا مدعاة للنهم والجشع

٧ً — وليكن لهوك كالمراد بالكلمة للتخلي عن العمل بقصد الراحة ، وأبداً في ما لا غبار عليهِ

٨ً — لا ترتَب في احد ، ولا تخوّن احداً ، بدون سابق تجربة واختبار ، ولا تصدق كل شيء مستغنياً عن الأدلة والبراهين

٩ً لا تكن خفيفاً بسيطاً لدرجة الانقياد الأعمى لكل ذي رأي ، ولا مستبدًّا عنيداً متفرّداً برأيك

١٠ً — اعبد الله وخفهُ وأحبَّهُ ، وهو يباركك بما يتوق اليهِ قلبك ويشتهيهِ لك المخلصون

كأس الحياة لا تصفو من الكدر

وهل من نور شمس ساطع بدون ظلّ واقع ؟ دع الأحزان التي يخلفها الحبيب الراحل عنا الى ظلمة القبر ، واعتبر بما يكون منشأه جهلنا لحقيقة وجودنا ، وقصورنا عن معرفة حقائق ما حولنا ، تقل مع القائل : والليالي من البلايا حبالى . فبنات الدهر تُزفّ الى كل مخلوق . ومن الناس مَن يحسبون الاقلاع عن طيبات الحياة ، والتباعد عن مسرّات الدنيا ، أبرّ وأصلح لما يرون من رُبوّ الأتراح على الافراح . بل ان بعضهم يقول بأن السمآء لا تنفتح أبوابها الاّ لمن يقاسي عذابات

الأرض ويبتلى بمصائبها . وهو قول خارج عن دائرة الصواب ، ون كان نافذاً من كبد الحقيقة . فان أخا البرّ والصلاح ، قد لا يصادف ما هو في عُرف بني الدنيا عذابٌ أليم

ولكن الحقّ الصراح هو ان القائم بواجباته حقّ القيام لم يحقد ولن يحقد على دنيـاه ، مع انه قد ينظر اليها شزراً ويرمقها بطرف الأسف من حين الى آخر

ولقد أحسن من شبَّه العالم بمرآة ، كل ما تنظره فيها منك ولك . وقد قال شاعرنا ملتن :

لا تقابل فعـل الطبيعة باللو م ولكن عليك فاقصر ملامك
ان تكن أشهرتْ عليكَ حساماً فلماذا أغمدتَ عنها حسامك
هي تأتي بمـا لديهـا انتظاراً ان توافَى بمـا يكون أمامك

وانهُ سبحانهُ لو لم يكن من مشيئتهِ اننـا نتنعم بخيرات الطبيعة ومحاسنها ، فلِمَ خلقها جذّابةً لعيوننا ، مشنّفةً لمسامعنا خلاّبةً لالبابنا ؟

فيوم علينا ويوم لنا

وقد قيل : ان الحياة رواية هزلية ، للعائشين بعقولهم ، ومحزنة للعائشين بعواطفهم وقلوبهم . والحق انها هذه أحياناً ، وتلك اخرى فحياتك كما تريدها أنتَ ان تكون

انكار الذات أدعى للسعادة من حبها

أجل لا ننكر ان كثيراً ممـا نعرفهُ كخطيئة او منقصة ، لذيذ

ومسرّ لوقته ، غير ان تلك الصبغة الخارجية والتزويق الجذّاب ، أشبه تأثيراً ونتيجةً بالطعم الذي تتهافت عليهِ صغار السمك ظناً منها انهُ اكلة سهلة المساغ

والقليل من التأمل في مصير احوال المتمرّدين على أحكام الطبيعة والعابثين بنواميسها ، يهدينا الى صواب القول من ان البعض يشترون مسرّة ساعة بندامة سنين تبتدىء حيث تنتهي تلك الساعة

وليصدّقني القارىء اذ أقول ان مَن أراد ان يعيش ويموت سعيداً بقطع النظر عما قد يكون وراء الموت ، فعليهِ ان يعيش على الصلاح والتقى قبل كل شيء

اليسر والتوفيق قد لا ترافقهما السعادة

فكم ممن توفّرت لهم جميع وسائل الراحة وتيسر لهم كل ما من شأنه الاسعاد ، مَن يحسبون أنفسهم من أنكد الخلق حظاً وأسوإهم طالعاً . فالثروة ليس قليلاً ما تعطي ، ولكن الفكر هو ما يجعل ذلك الكثير كافياً بحيث تشعر النفس بالقناعة والارتياح ، وقل السعادة . ولئن لم يكن في وسع الجميع ، ان يتربعوا في دست المناصب السامية ، وان يمرحوا في بسطة الجاه مرعيي الجانب ، فهو في امكان كل فرد ان يصير بَرًّا نزيهاً كريم الخلق وأخا حكمة ودراية . والعبرة في الغنى الحقيقي ليست بما عندنا من المال ، بل بما لنا من الخلال ، وبما نأتيهِ من الأعمال

السعادة نصيب من عرفها وطلبها من بابها

ان السعيد لمن يستسهل الصعبا ويترك المرَّ من نيَّاتهِ عذبا
ويكبح النفس عند الميل متخذاً من القناعة ديناً والعلى ربَّا

***

واليأس ظلمة موت فلنعدَّ له من الرجآء حساماً ماضياً عضبا
ولنعلمنَّ بأن الكرب يقتلنا اذا ابتلينا ولم نستهون الكربا
فلنحسب الحلو من لذَّاتنا دنساً ولنترك السهل من أهوائنا صعبا
وما السعادة في بدء الفعال ولـ ـكنَّ السعادة في الانهاء والعقبى

الفصل الثاني

« سلامة الذوق »

ان سلامة الذوق في الأخذ والعطاء ، والبيع والشراء في اسواق الحياة ، أدعى للنجاح والفلاح من سائر المواهب والعطايا الطبيعية كما سيتضح في ما يلي

تجارة اللطف

لا تضع فرصةً يتسنى لك فيها ارضاء الناس واعجابهم وكن انيساً رقيقاً لطيفاً ما استطعت . فان الأدب لا يكلّف شيئاً ويشتري كل شيء فجرّب اذاً ان تكسب الناس بتجارة الرقة واللطف والاحتفال بهم . وقد نصح أحدهم للملكة اليصابات ان اعملي على اكتساب قلوب الرعايا فقلوبهم وجيوبهم وكل مالهم تصير اذ ذاك بين يديكِ

اللطف قد يغلب القوة

ولنعتبر ذلك بمغزى هذه الخرافة :

هبَّت الريح من خباها يجرُّ الـــــعجب منها من الغيوم ذيولا
ومضت تهصر الغصون بعنف وتجرّي من السحاب سيولا

وتقول : اعلمي أيا شمس أني منكِ أقوى أُصيّر المستحيلا
فأجابت من سمتِها وعلاها أنا أخشى جدالنا ان يطولا
ليس أقوالنا تدلُّ علينا فليكن فعلنا علينا الدليلا
ان هذا مسافرٌ قد تردّى لاتّقا شرّنا رداءً ثقيلا
فليكن أنّ مَن يعرّيه منهُ يحرز الفخر والمقام الأثيلا

***

فأهيجت لذلك الريح تبغي بقرنٍ مُكابرٍ تنكيلا
وانبرت تجذب الرداء وتعلي عثير الدرب في الفضاء تلولا
وابن ذاك السبيل يشتدُّ أزراً برداه يطوي السبيل عجولا
ثم قالت للشمس مثّلتُ دوري دورَكِ الآن مثّلي تمثيلا

***

سكن الجوُّ والغيوم اضمحلّت وكثير الغبار عاد قليلا
وتبدّت مليكة الجوّ تُسدي بسناها شأن الكريم جميلا
واستمرّ المعهود يمشي الهوينا ليس يخشى لحاله تبديلا
ورأى الحرّ محرقاً فتعرّى من رداه وراح يطوي السبيلا

***

علمتْ عند ذلك الريح ان اللـــطف يولي عنف القوي تذليلا

الناس يقادون اكثر مما يسوقون

فالافضل في كل الاحيان ان تستميل وتستدعي لا ان تُرغم

وتجبر . ورب إبراق اسرَّة ، واشراق محيًّا ، وتبشير بوعد ، يكون أفعل من ضربة سيف ، وار بداد وجهٍ ، وانذارٍ بوعيد

ثقة الاخرين

جرّب ان تكتسب ثقة مَن تعاشر وتعامل . وان تمَّ لك ذلك عن طريق الاستحقاق والأهلية فهو الغاية . والسواد الاعظم من ذوي المناصب وأولي الأمر والنهي والحل والعقد ، مدينون بنفوذهم لحسن خلقهم وحميد سجاياهم

« بلى » « ولا »

جرّب ان تقابل التماسات الناس وطلباتهم بالايجاب ما امكن ذلك وجاز . ولكن لا تتردّد ان تأباها عليهم عند عدم الاستطاعة وعدم الصلاحية . ومن المعلوم ان ايًّا كان يستطيع التلفظ بنعم الايجابية ولكن قلَّ من يقدر ان يتلفظ بها بلهجة مرضية تسرّ المخاطب

اما الرفض « بلا » فهو اصعب جداً . وكثيرون كان عجزهم عن النطق بهذا الحرف علتهم وآفتهم . واذا كان مجرد إخراج هذا المقطع ضرورياً في اعمال الحياة بهذا المقدار ، فليس ظرفُ اخراجه بحيث يروق السامع باقل ضرورة

وليكن في جملة ما يهمنا ونعبأ بهِ ، ان نشعر زملاءنا وعملاءنا بحلاوة عشرتنا وصدق معاملتنا ، لكيلا تستفزهم النفرة منا ولكي لا يملوا

ملازمتنا والتعاطي معنا . ومن اميال الانسان الطبيعية ان يُعامل بالرفق والرقة وان يحتفل بامره

رياضة النفس على اعجاب الغير

ربما تسنى لأي شاء ان يصيّر نفسه مرضياً مقبولاً قريباً من القلوب اذا هو رغب في ذلك واهتم له . وقد قال اللورد شسترفيلد في احدى رسائله : ان الرغبة في الارضاء هي نفس هذا الفن . وهـذا بديهي لما انهُ يستحيل على من لا يرغب في ارضاء الناس ان يرضيهم. واذا انت لم تَرُض نفسك في هذا المضمار ، وتتفقدها من هذا القبيل ، وجدت الرجوع الى مثل ذلك بعد الكبر ، بعيد الشقة خشن المركب

وكثيرون من الناجحين المفلحين ما كانوا كذلك لولا رقة في شمائلهم ودماثة في أخلاقهم وظرف في سلوكهم ، كما ان كثيرين من ذوي الوزنات الراجحة وأصحاب النيات الصالحة يكثرون أعداءهم ويقللون أصدقاءهم بخشونة في ملمسهم وقلة لباقة في حركاتهم وسكناتهم

ناهيك بما في العمل على مسرَّة الغير من السرور الشخصي للفاعل ومن جرَّب عرف

استصغار شأن الغير

اذا وُجدتَ بين قوم تخالهم دونك براعة ومهارة ، فلا تنظرنَّ اليهم بعين الاستصغار والاحتقار ، فان الوارث للمال الكثير عظيم في

أعين الناس بقدر ما يُحسن القيام على ذلك الإرث والتصرُّف بهِ . ولا فرق بين التراث المادي والأدبي من هذه الوجهة

درس الناس

اذا كانت قراءة الكتب سهلة يسيرة ، فقراءة الوجوه ليست كذلك . وفي درس الاخلاق يجب التعويل على العينين بالاكثر ، فانهما مرآة تنعكس عنها اشعة الروح . ويقول امرسن : اذا ادَّعى اللسان شيئاً ودلَّت العينان على آخر فالأولى بالتصديق العينان . فالاحرى بك الاَّ تعلق كثيراً من الاهمية على الكثير من مزينات الادعاآت ومزخرفاتها التي قد تتلقاها من فم من لا تزال حديث العهد بمعرفتهِ ولم تخبره بعـد . واذا تملقك الغريب وغمرك بالوعود وقضى عجبك بما يبديهِ ويدَّعيهِ ، فاياك ان تحلهُ من نفسك محلّ من تثق باخلاصهِ ، فتنيله مبتغاه من خيانتك وغدرك

وزبدة القول ان لا تحسب كل آلٍ ماء ، ولا كل أبيض شحماً ولا كل متحلٍّ متجملٍ بالكلام كثير الادعاء والتزلُّف صديقاً حميماً . كلاَّ ، ولا تستخفنَّ بأمر معرفة أعدائك وأخصامك وتمييزهم من سواهم

القلوب والعقول

كثيراً ما نفتخر بكوننا مخلوقات عاقلة ، شأنها الاقتناع بالبراهين القاطعة والحجج البليغة . على انهُ من الخطأ الفاحش ان نحسب انفسنا

دائماً كذلك . فاننا والحق يقال اكثر انقياداً وتسليما لعواطفنا وأمالنا وأهوائنا وأغراضنا منا الى دواعي العقل المحضة الناشفة . وهذا القول يصدق على الجموع اكثر مما يصدق على الافراد

المجادلات والمحاورات

قلما تكون المجادلة سليمة العاقبة ولو كانت سهلة المسلك، وكثيرًا ما تنتهي بالمتناظرين الى سوء التفاهم

فقد تؤيد بالبراهين وجهك ، وتربح الدعوى كما يقال تمثيلاً ، وتخسر صديقك المناظر في ذات الوقت . وبئس الربح ، ويا للخسارة اذ ذاك ! هذا فضلاً عن انك اذا غلبتَ مناظرك بأن ثبتَّ زعمك ، ودحضتَ أقاويله وأضعفتَ اسبابه ، فقد لا تكون أقنعتهُ ، وما الفائدة اذ ذلك ؟

فالأفضل في هذه المواقف ان تبدي رأيك، (اذا لم يكن بدٌّ من ذلك) بصورة جلية واضحة ، مجرباً ان تنبه مناقضك فيهِ الى احتمال اغفاله وجهاً من الوجوه ، او عدم المامه بحالة من الاحوال المتعلقة بالموضوع

فنّ الكلام

الكلام فنٌّ مستقل بذاتهِ ، بأصوله وفروعهِ وفصوله وأبوابهِ . ومن كان غنيّ الخزينة من العلوم ممتلىء الصدر من الاختبار ، فقد لا يتبع بحكم القياس ان يكون فصيح اللسان رائع البيان عذب الحديث

لا يخدّش أذهاناً ولا يجرح احساسات

المحدث والسامع

وكما ان للتكلم شروطاً واصولاً متعارفة معتبرة ، فكذلك للسماع والاصغاء ما لا يقلّ اعتباراً وأهمية . فلا تقابل كل ما تسمع بالتفنيد والانتقاد. بل احتجن رأيك، وأجّل حكمك ما استطعت ، ريثما تسنى لك ان تلتمس للقول تخريجاً او تأويلاً او للقائل عذراً مقبولاً ، واعلم انك اذا تجاوزتَ عن هفوات الغير مرّة بعد اخرى ، عُرف ذلك عنك ، ونسب الى فضل وحلم فيك ، ونعم هاتان من خلتين تحببانك الى الجميع

الحديث وحداثة السن

من كان حديث السنّ بعد ، ووجد في حضرة من هم اكبر منهُ قدراً وعمراً ، فلا ينتظرنّ كل الاصغاء وحسن الوقع لما يقول . ومن ثمَّ فليُقلّ من الكلام ، وليكن حظه من مجلس كهذا الجلوس باحتشام ، ورعيُ السمع التام ولعمري انهُ لأوفر نصيب

الكلام وتسبيب العداوة

« اذا نطق السفيهُ فلا تجبهُ فخير من اجابتهِ السكوت »

وقد ورد في أمثال الحكيم : الجواب اللين يردُّ الغضب

هذا ولا يغرب عن اذهاننا ان الاجابة بنزق وغضب اخف

وطأةً واسلم نتيجة من التهكم والتقريع والاستهزاء . وتسعة من عشرة يحتملون من الاساءة والمذمة ضعف ما قد يطيقون من جوارح انياب الاستهزاء والسخرية

لاتبكِ ان ضحك عليك

لا تكن مستعداً لأن تثب على جماعة من المعارف تغشاهم يتهامسون ويتقهقهون وثبة الارتياب وسوء الظن فيهم فقد لا تكون انتَ موضوعَ سرهم وضحكهم . هذا ولا تجزَعْ اذا صدق حدسك ، وصحَّ تخمينك ، وعرضت لملحهم ونكاتهم المؤلمة نوعاً . بل انك لتستظهر عليهم ، وقد تجتذبهم الى نفسك وتربح مودتهم ، بمجرد مشاركتهم على نفسك . لأن الانسان من طبعه أن يعجب بمن يحتمل الهزل إعجاباً يقارب التودد والاخلاص . فالنصيحة اذاً ان أضحك على نفسك لا يضحك عليك الآخرون

شجاعة المبدا

لا تخشَ ان تظهر مبادئك وافكارك ، حتى عند كونك لا تأمن استخفاف الآخرين اذا فعلت ، فان استخفافهم هو الأولى بالاستخفاف. لأن العيب ليس في أن تعيش على ما انت مطبوع عليهِ بل في تكلف شيء في طباعك ضده

المرء يُعلي و يسفل نفسهُ بنفسهِ ! !

الشخصيات والكلام

كن حرّ الضمير ومتكتماً في وقت واحد . وأقلّ من الكلام عن نفسك ، أو لنفسك ، أو على نفسك . ودع غيرك يتكلم لك عن نفسهُ ما يشاء . فان الغير اذا هم باشروا الحديث بامورهم الشخصية ، فلأنهم مولعون بذلك ويلتذون بهِ . وأنت اذا منحتهم بِشرك واعرتهم اذناً واعية ، أوليتهم منّةً يحسبونها لك من جملة الحسنات

ومهما كان من أمر محدثك ، فلا تُقدم على اظهار عيوبه لعينيه اللهمّ ان لم تكن الحال بمقتضياتها تلقي ذلك على عاتقك واجباً ثقيل الأداء ، فانك قد تكون مخطئاً في تقديرك أو قد تحمله على الظن فيك بالمثل

اهانة المجتمع عامةً

اذا وجب الحذر من اهانة الفرد ، فالتعريض بالطائفة أو الجماعة كطائفة وجماعة أوجب للحذر وأدعى لأن جرح احساسات الفرد يسير المداواة في الغالب ، أما اذى الافراد كهيئة فقد يعدّ ذنباً لا يغتفر

الصبر والتأني

في كل مهمة وكل معاملة تقيدْ بالتأني واعتصم بالصبر . كثيرون يرضون باقبالك على استماع سؤلهم عن اقدامك على اجابتهِ . وكثيرون

يرجعون عن مصادرة من يصادرون، ومناضلة من يناضلون لما يُقابَلون بهِ من التؤدة وطول الأناة

سكر الحدة وضياع الرشد

وقبل كل شيء احترس من سورة الغضب . واذا أخذت الحدة منك كل مأخذ ، فأمسك عنها بالاقل لسانك كل إمساك ، خشية ان يبدر منك من القول ما تودُّ بعد حين لو تسترجعه الى حيز الفكر وهيهات ان يتسنى لمتندّم مثل ذلك

التحرش والفضول

يُروى عن الملك جيمس (ملك سكوتلاندا وايرلاندا وانكلترا) انهُ خاطب ذبابةً أضجرتهُ بطنينها امام عينيه ، بمثل هذه اللهجة :

ألستُ مليكاً للثلاث ممالك وهذي مالي؟ فلتكن بعض مالكِ !

وما لكِ في عيني تطرين مالكِ ؟

فالرأي الأَّ تزجّ بنفسك حيث لا تُراد ولا يحتاج اليك . وأرض الله واسعة الفضاء

عِلمُ الناس

لا فرع من فروع العلم المتشعبة اجزل فائدة من فرع علم الناس فانهُ من الاهمية بأعظم مكان وكيف لا ولا بد لمن يطلب النجاح حليفاً والفلاح أليفاً ، من التميز بين من يوثق بهم ويُركن اليهم والى

أي الدرجات وفي أي المهمات و بين من ليسوا على شيء من ذلك

الثقة فى الناس

لا تستخدم ولا تُعامل من لا تحسن الظن فيه . ولا تسيء الظن في مَن تستخدم وتُعامل . واذكر ان المؤمنين الناس اكثر في الغالب إصابة من المخونين لهم . والثقة يجب ان تكون كاملة تامة ، وابداً عن بصيرة

النصح والنصيحة

كن متكتماً متحفظاً بقدر الامكان . فلا تعرض نصيحتك عرضاً على كل الناس ولا تمسكها عن اهلها . فم الحكيم في قلبه وقلب الجاهل في فمه

التروى قبل العمل

استشر العقل وخذ بمشورته . ومع انهُ غير معصوم ، فلعله يكفيك شرّ كثير من الخطإ والزلل

عود على بدء

إنْ حسبنا كلامنا فضّيا كان حقاً سكوتنا ذهبيّا

وكثيرن يتكلمون لا لأن لديهم ما يضطرهم الى الكلام ، من حاجة او غرض في النفس ، بل لأنهم مولعون بحب الكلام لا غير .

على ان الكلام يجب ان يكون تمريناً للعقل ولذة له لا رياضة لعضلات الحنك واللسان

ولا مشاحَّة ان هذه العادة وصمة على صاحبهـا ، وعثرة في سبيل نجاحهِ . فان المهذار المكثار قد يستطرد على غير هدًى الى ما يندم على قوله بعد حين ويود لو لم تحل لكنته من اجل ما فرط منه

يقول لابرويير انها لمصيبة كبيرة ان يُعدَم انسان رأياً اذا اراد الكلام او قوةَ ارادة اذ رأى الصمت

لا تكن شديد التشبُّث بما تحكي او تروي او تقول على الاطلاق، فقد تشط الذاكرة بك عن دوائر الحقيقة وانت لا تدري ، او قد يكون الغرض والميل متلاعبين ببراهينك على غير علم منك . هـذا واليقين في غنىً عن التأكيد

الفُرَص

قف للفرصة بالمرصاد ، حتى اذا أنِست منها اقتراباً اخذتها من ناصيتها ، فهي أشبه بعجوز شمطاء عبثت السن بفودها وقذالها ، واستبقت على غرتها ، فان ولَّت فقد نجت ، وهيهات ان تعود

الملابس

غاية ما يجب ، ان تكون ملابسنا نظيفةً مهندمة محتشمة ، وليس من الضروري ان تكون أنيقة لدرجة البذخ والأبهة ، بحيث نُحمل

على الاسراف بذات الوقت وذات الكيس

ومما يستنفد العجب ، مقدارُ ما يعتبر الناس الملبوس في حكمهم على اللابس

أوَليس الذين يعرفونك بالنظر اكثر بكثير من الذين يعرفونك شخصياً ؟ وهؤلاء كم يستدلون عليك بهيئتك ومظهرك الخارجيين

واذا صرفنا النظر عن هذه الوجهة الخصوصية وارسلناه في وجهة عمومية قلنا ان قليل الاعتناء في امر اللبس ، قد يكون قليله في سائر امره ايضاً

* * *

أزاهر الاخلاق

ان اللطافة والظرا فة والرشاقة واللباقة
زين تزينه المودّ ة والاخوّة والصداقة
فازاهر الاخلاق هـ ذي اختر لنفسك صاح طاقة
فالناس تُكرم من يكو ن بهِ على الاعجاب طاقة

الفصل الثالث

« المال »

﴿ وحسن القيام عليه وصرفه في سبيله ﴾

يسوءني ان أرى ابناء وطني محتقرين لمبدإ الاقتصاد ، فانهم يصلون اناء الليل باطراف النهار سعياً وراء الاصفر الرنان ، ولكنهم لا يكادون يجمعون شملهحتى يشتتوه ، والنتيجة ان غيرنا من الشعوب يفوقوننا باقتصادهم

والاقتصاد لغـةً هو التوسّط بين الاسراف والتقتير ، وخير الامور الوسط

أوصى احدهم ولده وهو على حافّة القبر بما علمهُ اياه الدهر فقال : اذا اردت ان تصير غنيًّا فانظر الى ما تصرف لا الى ما تحصل

فقبل تحية البائع - يحسن بالمزمع ان يشتري شيئاً ان يفكّر في هل ما بنيته استبداله بذات جيبه ضروري لدرجة ألاَّ غنى له عنه أم لا

لماذا يلزم الاقتصاد

بقطع النظر عن الاثراء ، انها لآية من آيات الحكمة البشرية ، أن اقتصد في يومك وان كنت اسداً في قومك ، حذر ان يعضَّك كلب الجوع في غدك او بعد الغد . هبْ ان الزمان عاداك من بعد

ما والاك ، وكان من عدائه ان أمسيتَ وحولك امرأة تتسترّ برثّ الثياب ، وصبية يعولون شوقاً الى وجه الرغيف — او أنْ بتّ وقد وصف لك الطبيب الدواء ، وليس في يدك ما تبتاعه بهِ — او ان أحد اعضاء عائلتك لزمه تبديل المناخ استبراء من علّة او داء اعتراه ، ولا قِبَلَ لك بتنفيذ ذلك اللازم — او أنْ اصابك انت ما يضطرك الى الانقطاع عن العمل والتسبّب للمعاش — الى آخر ما هنالك من المصائب المألوفة الوقوع — هب كل ذلك او بعضه وتخيّل لنفسك كم تعض اصابع الندم وكم تأوّه وتتأسف ، حين لا يجدي تأوُّه ولا تأسّف ولات ساعة مندم

فلاتقاء شر الغد ، واستقبال مواليد الليالي الكريمة أم اللئيمة لا تدري ، لمثل ذلك يجب الاقتصاد

وانني لا انكر ان الاقتصاد حباً بالاقتصاد ذاته ، خلوٌ من كل فضيلة ومحمدة . واوكد ان الاقتصاد حرصاً على الحرية الشخصية ، والاستقلال الذاتي ، وحفظاً للمقام الاجتماعي ، عنوان الفضيلة والرجولية

كيف السبيل الى ذلك

امسك حساباً لدخلك وخرجك وليكن ذلك بيد الاعتناء والتدقيق . لا أعني انهُ ينبغي تقييد كل نبذة حتى الزهيدات الطفيفات ، بل الحزم كل الحزم في مراقبة الخارج والداخل من الجيب واليهِ ،

لكيلا تكون متكلاً على ضيف أصفر او أبيض لم تكرم وفادته ، بل ما كاد يستضيفك حتى أرجعتهُ من حيث أتى ، ولكيلا تحسبك صفر اليدين عزلاً من الاخوان الاعوان ، ومن أحلتهم من مستودعك على الرحب والسعة يتلهفون الى فرصة احتياجك اليهم ، واعوازك الى اشراق وجوههم ، وصلابة عودهم ، وخلوص معدنهم

واذا صح تشبيه الاسراف بهوة تردي كل من انحدر اليهـا ، فأول خطوة نحو تلك الهوّة تكون غض الطرف او اغماضه او اعماءه عن زوّار الجيب خروجاً ودخولاً

على قدر البساط مددت رجلي

ومهما عملت فلا تخرج بمصروفك عن دائرة مدخولك. ولتُصبحْ في غرة كل عامٍ ، ولديك تذكار من اثمار العام الفائت

اما رأس الحكمة فمخافة الدَّين. فخفه ان كانت الحكمة في رأسك

قال سكوت رواثينا الخبير بأمور الناس ، بلسان أحد أشخاص رواياته ما فحواه : رجل محصوله السنوي ٢٠ جنيهاً افرنجياً ومصروفه ٢٠ جنيهاً الاَّ شلناً واحـداً . وآخر دخلهُ السنوي ٢٠ جنيهاً أيضاً وخرجهُ ٢٠ جنيهاً وشلين واحد . فما الفرق بينهمـا ؟ الأوَّل يقودهُ يقوده اقتصاده الى ديار السعادة والثاني يجرُّه اسرافه الى هاوية الشقاء

الدَّين

لا اغراق ولا مغالاة ولا مبالغة ان قلنا ان الدَّين ذلّ وعبودية ،

أوَ ليس العار والاستعارة من اصل واحد ؟

قال هوراس كريلي (وهو رجل اشترى سعة الاختبار بما ضايقهُ الدهر) : لا الجوع المضوِّر ، ولا القرّ القارس ، ولا رثاثة الثوب ، ولا الاشغال الشاقة ، ولا التخوين ، ولا التعنيفُ التعسفي ، أشقّ على النفس احتمالاً ، من عبودية الدين ! فاذا كنتَ لا تملك الاَّ شروى نقير ، فعش ومت على ذلك النقير ، خير لك من ان تبيت مديناً .

وقال بلوتارك : اذا كان هيكل أرطميس في افسس يفتح أبوابهُ للمتلجئين اليهِ هرباً من وجه دائنيهم ، فان هياكل الاقتصاد في كل قطر من أقطار المسكونة ، ترحب بينيها المقتصدين ، وتحلهم من رحبها على رغد العيش ونضارته وعرض الجاه وبسطته

فلا تُعِر ولا تستعر ولا تستدِن ولا تُدِن . لأن مَن تدينهُ وان ضمدتَ ما جرحتهُ الحاجة ، فقد أوجدتَ في قلبهِ حزازة ، تنكأها كلما تقاضيتهُ الدين . هبْ ما تهب وأعطِ ما تعطي غير آسفٍ عليهِ ولا راجٍ استرجاعه . (وهذا الكلام لا يتناول المعاملات التجارية)

تحصيل المال

اذا ما سماء التوفيق أمطرتكَ رذاذاً بادىء بدء ، فلا تيأس ، بل ثابر على زرع بذور العمل ، وأمّل بالاستغلال والاستثمار . واذا اتفق ان تدفقتْ عليك سيول الدراهم تدفقاً عقيب بارقة أمل ، فلا

تبطرنّك البحبوحة التي تراك فيها ، واذكر ما كنتَ عليهِ من قبلها واحسب حساباً لما قد تصير اليهِ من بعدها . وجملة من التجار أسكرهم ربحهم في أول الأمر فباتوا يترنحون طرباً ، وأصبحوا يتأففون تعباً

الغنى والاهتمام له

لا تستبطئنّ الغنى ولا تستعجل اليهِ ، فان الأمور مرهونة بأوقاتها وقد قال رُسكن : لا تحكّم الثمن بالصورة بل دع الصورة تتحكم بالثمن ولا تبعها مغترًّا بالربح العاجل بل قدّر لها قيمة الآجل

ولا تعلق نفسك بحب المال . فمع ان المتاح لهم ان يجمعوا الأموال الطائلة وينموا الثروات العظيمة نفر قليل ، فلا شك ان كل انسان بواسطة جدّه واجتهاده وتدبيره واقتصاده ، يمكنهُ التعيش والارتزاق

وكثيراً ما نسمع عن غنىً جاء عن طريق غير شريفة ، أما الفقر فهو ما خلا النادر النادر لا معرّة فيهِ ولا منقصة . والفقير ليس ذا القليل المكتفي بما عنده ، بل الفقير من يحتاج الى سواه . وما الافتقار لغةً الاّ الاحتياج بعينه

ان الطبيعة لتعطي اكثر مما تأخذ . انما الترف والرفاه والبذخ ، هذه باهظة الكلفة لا مشاحّة . وحسَب قول فرنكلن ان ما يلزم لاشباع شهوة من الشهوات ، او للتمتع بملذّة من الملاذ المألوفة بين أولي البذخ والبطر ، كافٍ بل اكثر من كافٍ لإعالة ولدَين ، أما

الحاجيات الضرورية فالطبيعة توفرها لكل مخلوق

تجرى الرياح بما لا تشتهى السفن

لا تدَعِ الآمال تطوّح بك كل مطوّح ، بل احسب لزيغ العالم واختلاله حساباً . وان اكبر التجار قد تزلّ بهم قدم السعي فيرون أنفسهم حيث لا يريدون . والعصمة لله عزّت وحدته

تتعلم في جملة ما تتعلم ان ٢ و ٢ اربعة ولكن أليس العددان اثنين وعشرين ايضاً . فكذلك أفكار الانسان قد تكون منسّقة تنسيقاً عامودياً ، فاذا برزت من حيز دماغهِ الى إثير العالم ، انقلبت وتنسّقت أفقياً ، وربما كان العكس . وهو معلوم ان لكل جوادٍ كبوة ولكل عالم هفوة . فالحزم الحزم والصبر الصبر

كل انسان تاجر

بمعنى ان عليهِ واجبات ليؤديها ومصاريف ليتدبرها ، وبيتاً ليقوم بأوَده . ولرب طفيف من الأمور يشاكل اعظمها أهمية

راسمال التاجر

لا يتوقف النجاح في التجارة على فرط الذكاء وكثرة المواهب بل على سلامة الذوق وعلى الاعتناء في العمل والمواظبة عليه. والعادات التجارية كالمواظبة ، والتدقيق ، وحسن معاملة الشركاء وغيرها هي كسائر العادات مما ينغرس في الطبع وينمو بالمزاولة والممارسة

قاعدة ذهبية

(عيّن لكل من الاشياء موضعه وضعهُ فيهِ باتقان وترتيبِ
حتى اذا ما طلبتَ الشيءَ في عجل تلقاه حالاً ولا تبلى بتعذيبِ)

المال والعلم

اقوال اولي الالباب من ارسطو الى كارليل متضاربة متباينة بشأن مقام التجار في الهيئة الاجتماعية . فمنهم من يجلهم ويعتبرهم ، ومنهم من ينظر اليهم غير هذا النظر

على ان الاعمال التجارية ، أبداً قابلة الترادف مع غيرها . وكثيرون من ماسكي الدفاتر مسكوا الاقلام ، وأفادوا العالم بما حرروا وكتبوا ، كما افادوا أنفسهم بما قيدوا وحسبوا

الفقر والسعادة قد يجتمعان

جملة من اعاظم الرجال وسعدائهم عاشوا بالتقتير على بساط الفاقة والمسكنة . ومنهم وردسورث الشاعر الكبير وشقيقته اللذان قضيا سنوات متوالية ، لا يصرفان اكثر من ثلاثين شلناً في الاسبوع. واني اعتقد ان تلك كانت من اسعد سنيّ حياتهما

الغنى الحقيقي

اذا لم يكن نصيبك اليسر المالي ، وفزت بسهم من المحبة والاخلاص وصفاء النفس ، وعشت مع حبيب تحنُّ اليهِ ويحن اليك ،

ولو في كوخ صغير ، خليَّ البال مرتاح الضمير ، فذلك كل العالم لك ، ويا نِعم نصيبك من نصيب

الانسان والفلوس

انها لعادة تعودناها ، ان نقدر المال فوق قدره ، وان نبخس كثيراً مما سواه حقه . فلنتأمل !

اذا اراد ذو مالٍ أن يتمتع بصحة الجسم والعافية – وان الانسان لمن طبعه ان يؤثر دقيقة من الحياة ولو في ساعة النزع على كل امواله وعقاراته — اذا أراد غني ذلك ، وحقه ان يريد ، فعليه ان يعيش من حيث مأكوله ومشروبه كفقير لا يتناول الا الضروري اللازم . وان المآكل المغذية لسهلة المنال وقليلة الكلفة. وحبذا الاقتصار عليها

ولماذا تتوق انفسنا الى المال وتتعشقه بل تتعبده مع اننا اذا طلبنا اللذة من صفحات الكتب ونفثات الاقلام كان ذلك من ايسر المطالب. وهو بالحقيقة فقيرٌ فقير من لا يتيسر له ان يشتري من الكتب قدر ما يقدر ان يقرأ ! ولكن ذلك فرض نادر الوقوع . فبالقليل من المال نشتري ما نستنفد الكثير من الوقت بمطالعته

وهل ترانا نشتري بالدراهم صحة ابدان ، وذكاء عقول ، واخلاص اصدقاء ، وجمال خَلق وخُلق ، وسعادة عائلية ! ! وكم من غني دخل القبر غير مأسوف عليهِ ، وفقير شيعته الزفرات ، وذكرتهُ

التحسرات ، وسقت قبره غيوث الترحمات

محبة المال اسر وذل

كل القيود لا تطاق ، ولا فرق بين القيد المصوغ من الذهب الابريز ، والقيد القمِل . والمال يثقل صاحبه هموماً ، لا تقلُّ عن هموم الفاقة والعوز . ومن الاغنياء من هم ارقاء مالهم لا اربابه

فالمال لا يكون مجلبة لاسباب الهناء ، الاَّ اذا كان صاحبهُ فاهماً لمعاني الحياة حق الفهم

واليك أقوال بعض مفسري اسرار الحياة

قال سعدي الشاعر الفارسي :

لا ناقة عندي أُثقل متنها كلاّ ولا حمل يثقل كاهلي
لا عبد عندي استبدُّ بأمره كلا ولا أمري بكلمةِ قائلي
أحيا ولا اهتم للآتي ولا ادعو المواضي من ملمّ نوازلِ
أتنفّس الصعداء مقتنعاً بما عندي وموتي عاجلي او آجلي

وقال شاعرنا شكسبير :

الاغنياء لدى الردى فقراء والكل في حكم المنون سواء
ولأنت يا هـذا الغنيَّ محمّل حملَ النضار تسير كيف تشاء
حتى اذا جئت القبور وقد برى منك المناكب في المسير عناء
يضع الردى عنك الحمالَ كبغلةٍ تعبت وما غير الشعير جزاء

وقال غاي :

ولمـاذا نفني الحياة بجمع الـ ـمال جمعاً مشتتاً لقوانا
ما تُراه يجدي اذا الداء فينا حلّ هلاّ تُراه يمسي دوانا
أم تراه يرشي ويغري ردانا وهو عدل فلا يجيء ورانا

وقال سينكا الفيلسوف الروماني : الفقير تعوزه اشيـاء كثيرة فيطلبها وقلّ أن لا يصيبها ، اما الطماع فيطلب كل شيء ويرى نفسه لا يصيب شيئاً . وقال فيلسوفنا بايكون :

السعي المستمرّ في طلب المال ، قد يشغل ذوي المناصب الرفيعة وذوي المقاصد النبيلة عن مهماتهم ، لدرجة التقاعد عن واجباتهم ، فبئسه اذ ذاك من سعي

المال قوة

اذا صرف المـال في سبله اللائقة كان قوة عظيمة ، فهو بعبارة افرنسي فطن ، ملك الملوك ، كيف لا وهو الواسطة بيننا وبين مطالبنا من تبديل هواء ، واقتناء كتب ، وحضور حفلات ، وركوب اسفار ، وزيارة امصار ، أو مساعدة صديق اعثره الدهر ، أو تفريج كرب عمن ضاقت بهِ الحيل — الى آخر ما هنالك من الأمنيّات والرغائب

البخيل

هو المولع بالمال لانه مال ولوع الشاعر بالزهرة لانها زهرة . الا

ان البخيل يسرف في محبته لنقوده ولا يميل عنها الى سواها ، ويا لبعد الشبه بينه و بين الشاعر الحقيقي ، فانه يحب كل جميل

عَرَق الجبين ودم القربى

ان ما تجده يمينك ويغسله ماء جبينك من المال لهو ملكك بدون نزاع ، أما ما ينتقل الى يدك بمجرد انتقال من ترث فهو لك ولغيرك ولا فضل لك فيه

واليك ما نقش على ضريح أحد الكبار الاغنياء عبرة وذكرى

ان الذي أحسنت في صرفه ... باقٍ وهذا مالِيَ الخالدُ
أما الذي بذّرتهُ فغدا ... في حكم مالٍ ما له واجدُ
وكل ما أبقيتهُ ذاهباً ... الى ضريحي انني فاقدُ

الفصل الرابع

« تجديد القوى »

﴿ بالرياضة البدنية والتنزه والراحة ﴾

معاذ الله ان نحسب جعلنا قسماً معيناً من وقتنا للالعاب المروضة لأبداننا ، من باب المجازفة بساعات الحياة المعدودات ، فان الالعاب التي بمزاولتها نحرك اجسامنا ونمرن عضلاتنا الرئيسية كعضلات الصدر والمعدة وغيرهما لضرورية لنا ، بازاء تعاطينا الأعمال التي من شأنها عدم استعمال تلك العضلات ، وحقها ان تستعمل ، والا تأخرت عن اداء واجباتها والقيام بوظائفها

الالعاب

والالعاب فضلاً عن كونها تحفظ لمدمنها صحته وعافيته — وكفى بصفتها هذه حاملاً لنا على الاقبال عليها — أجل فضلاً عن هذا انها لمعروفة بما تخلق في مزاوليها من ذوي الاعمال الخطيرة من الرغبة في العمل . ناهيك بما يكتسب الاحداث في ساحاتهـا من درس اخلاق زملائهم ورفقائهم وملاعبيهم ، كائنين من كانوا وبما تخلقه فيهم من مبادئ الشجاعة والكرم والصفح والتسامح وملازمة المرء حده وقيامه على واجباته ، وعمله على إحقاق حقه الى غير ذلك ، مما يكاد

لا يصدقه السامع لأول وهلة ، اذا كان ممن يجهلون ماهيات هذه الامور وكيفياتها . نعم اكرر القول واعيد ، ان في الالعاب لفوائد علمية واخلاقية وادبية طُبعت على ساحات اللعب ، وليست لتقتبس من صفحات الكتب

انما . . . لتكن الالعاب مما نأتيه من حين الى آخر ، لا مما نقف عليهِ الحياة

الصيد

والصيد لذة طالما اتخذها الملوك ديدناً وانعكفوا عليها كل انعكاف. وليس من تاريخ أو رواية يخلو من فقرات عن حملات صيد وصيادين. ولا بدع فاجدادنا الأقدمون كانوا يعولون على مقدرتهم وبراعتهم في الاصطياد في تحصيل قوتهم ، قبل ان صرنا نعمد اليهِ من باب ترويح النفس وشرح الصدر بالتوغل في الغابات وتجشم الاوعار والتنقل على الشواطئ للفتك بحيوانات البر والبحر والاستبداد بحياتها اعتزازاً بالسلطة الممنوحة للانسان . والرياضة واللذة بل قل السعادة التي يفوز بها الصيادون مما لا سبيل الى انكاره . والصيد بحد ذاته ، نِعمةٌ من منفِّسٍ لكرب النفس ، ومن مَوردٍ ينهل منافعه كل محتاج الى تقوية جسمه ، واستبقاء رونقه وحيويته . ولكن النفس تواقة الى يوم سيصل اليهِ التمدن الحقيقي ، يوم الرفق بكل ذي حياة ، والتمتع بلذة استحياء الحيوان ، عوضاً عن قتله

الماء والهواء

من بركات الطبيعة الماء والهواء وهاك وصفهما

زلال المـاء في النبع المعين يبرد مهجتي ويروق عيني
فاذكره واعشقه واهوى ترقرقـه الذي يحكي انيني

***

هو الهواء وهل نسلوه واعجبا وهو الذي من سلاه صاح واحربا
نحيا على فضله طول الحياة ولا نريد عن فضله مالاً ولا ذهبا
وهو الكريم الذي يُعطي وليس يُرى يُعطيك رقتهُ ان آب أو ذهبا
وهو الحمـول لريَّا الزهر ينقله من الحقول الينا كلمـا اقتربا
وهو المرقّص للاغصان يُسكرها من راحتيهِ فتُلفى تنحني طربا
وهو المعين اذا جاء الشراع وقد أعيـا المُجذف في تجذيفهِ تعبا
بل الرسول لاهل الحب ينقل ما قد لا يفسّر إمَّا أُودع الكتبا
بل النقول الى الآذان ما نطقت بهِ المناطق شدواً كان ام لجبا
وما تغرده الاطيار ان صدحت وما يُوقّعه النقّار ان لعبـا
بل المخفف يوم الحر وطأتـهُ حتى يبيت عليلاً اذ يهب صبا
لولاه ما ارتفعت زرقاء قبتنـا ولا تلظّت على آفاقهـا لهبـا
لولاه ما لثم الوردَ الندىّ ندًى ولا ترقرق ماء صافيـاً عَذبا

الطقس

كثيراً ما نقول : هذا طقس جميل وهذا طقس غير جميل .

والحقيقة ان لا طقس غير جميل للانسان لو درى . اذ ربما كان انقطاع الأمطار او انهمار السيول علةً لتذمر الفلاح . أما الانسان كانسان فالحرّ الشديد والبرد القارس كسائر حالات الجوّ ، كلٌّ يفيد جسمه وروحه بمزيته الخاصة . فعلينا ان نلبس لكل حالة لبوسها ، حتى اذا فعلنا كنا للطبيعة على كل حال من الشاكرين

الراحة

الراحة غير الكسل . فهي محبوبة وهو مكروه . ولا أحب من من الارتماء على بساط الأعشاب الخضراء ، تحت شجرة وارفة الافياء ومعاينة العصافير المزقزقة بالاصغاء ، والاصغاء لشجي ألحان الماء ، المتسلسل على الحصباء ، ورعي قطعان الغيوم السارحة في عرض السماء أجل ! لا أحب ولا أجمل من ترويح النفس من العناء ، بمغازلة الطبيعة الحسناء

الرياضة والهواء النقي

يقول المثل من اختلّت نظامات معدتهِ وادارة أعضائه الداخلية فظهر الجواد اصلح مصلحٍ لحاله والهواء النقي يسد منهُ كل خلل

ويخيل لي انهُ من ألزم اللزوميات ، ان ندوس اعتاب البيوت خروجاً في الهواء الرطب العطر نحو الساعتين على الأقلّ في كل يوم . ونفع الهواء البليل اللطيف ، العليل تشبيهاً لا غير ، يشمل العقل والجسم

جميعاً . فكأن الطبيعة والهواء رسولها وساعيها ، لا تزال تدعونا الى هياكلها لتبهرنا بسنائها ، وتشعرنا بعظمتها وتكاشفنا أسرارها

كيف نعاشر الطبيعة

تتعلم من الأرض والجلد ، والأحراج والحقول ، والبحيرات والانهار ، والجبال ، والأبحار ، فوق ما تتعلمهُ من معلمينا وكتبنا . والفائدة كل الفائدة ، واللذَّة كل اللذَّة ، في الابتعاد عن غوغاء المدينة وضجة شوارعها ، وقصد القرى الحقيرة المنفردة ، او في ركوب قارب تتولى أنتَ امر مجاذيفه ، او في التجوُّل في الرياض والغابات ، واستحباب الازهار ، وضمها طاقات طاقات ، او في الانحدار الى الأودية وجمع المحجرات ، او في التنقل على شواطىء البحر المرغي المزبد والتقاط ما يبهجكَ ويروقكَ من الأصداف والنباتات المائية . وزبدة القول ان استنشاق نقي الهواء ، وتحريك الأعضاء في وقت واحد ؛ يحفظان الصحة لصاحبها ويتكرمان بها على فاقدها من جهة ، وينزّهان الفكر ، وينفسان الكرب ، ويتركان الانسان خلواً من كل همّ ، مستعدًّا لكل مهمةٍ ، من جهة اخرى . ان الطبيعة نبع يفيض بركات ! !

مجمل

من جعل المسرَّات والتنزه شغله الشاغل ، وتخلى عن الاشغال

والاعمال تُعدّ محباً لذاتهِ ، بل غبياً لا يفقه معنى الحياة الحقيقي . ومن عجز عن ابهاج نفسه وتسليتها والترويح عنها ، فلا يتظلم ، ولينصف نفسهُ . اذ ان هذا الحق له وعليهِ ان يناله

البساط المسحور

جاء في كتاب الف ليلة وليلة ، ان بساطاً مسحوراً كان يحمل القاعد عليه حيثما شاء . ومجالس القطار والمركبات والبواخر ، وسواها من السيارات النقالة ، هي لنا بمثابة ذلك البساط الخرافي تنقلنا الى حيث نشاء ، ومن حيث نشاء . وبقدر ما نرى ونشاهد ونعاين ، تزيد افكارنا ، وتكثر وتتنوع تصوراتنا وتذكاراتنا وتخيلاتنا ، وكم من تصورات وتخيلات وتذكارات هي مصادر السعادة بعينها . وقد قيل ان اللذة الحقيقية واحدة وهي لذة الفكر

لذة الحديث

ومما تتزين بهِ الصفحات وتلهج به الألسن هذه العبارة : فلان حديثه لاذّ ، وما ناسقها مراداً وتركيباً . ويروى عن جونسن احد رجالنا الذين نفتخر بهم ، أنه كان اذا اراد وصف وليمة الامس ، بزهائها ورونقها وفخفختها ، وفاخر ألوان طعامها وانواع مشروباتها ، الى غير ذلك مما توصف به الولائم والمآدب الكبيرة الشائقة ، اقتصر على مثل هذا القول : « ودارت بين المدعوين أحاديث لذيذة »

وقليلة هي المواهب التي يتفاوت الناس باعتبارها اكثر مما يتفاوتون ويختلفون باعتبار لطف الكلام ورقة الحديث . واني اعرف كثيراً من الناس المعتزين والمنظور اليهم ، مَن اذا تكلموا ابدعوا ، وافادوا واجادوا ، ولكنك لا تفوز منهم بكلمة ، الاَّ اذا ابتززتها ابتزازاً ، فانهم لعلةٍ بخلاء يضنون ، أو على الاقل لا يجودون ، الا اذا استُجدوا . والمجيد في الكلام على الرحب والسعة اينما حل . وهذا الفن ككل فن لا يبرع فيهِ الاَّ من مارسه وزاوله

قال السر وليم تمبل : أسرار الاجادة في الكلام اربعة : اولها واهمها جميعاً الصدق ، وثانيها سلامة الذوق ، وثالثها حسن الطبع ، ورابعها البراعة والتلاعب باساليب التعبير

وكثيرون استفادوا وتعلموا من مجرد ما يقولون ويسمعون . قال اللورد بايكون : من يسأل كثيراً يتعلم كثيراً ويرضي ويُسرُّ كثيراً ، بشرط ان يعرف مَن يسأل وماذا يسأله . فيوجه السؤال العلمي الى رب العلم ، والسياسي للسياسي ، والتجاري للتاجر . وسببه ان كل ضليع من موضوع ، يحب ان يظهر ما عنده ، ويرتاح الى افادة من يرجو الاستفادة منهُ . ولا احكم من اخذ الحقائق من اربابها

الشعور بجمال الجميل

أعطانا الله حواس السمع والبصر واللمس وغيرها من مثلها ،

وكذلك خلق فينا محبة الجمال بحيث تنبسط انفسنا لرؤيا كل جميل ، وتنقبض لوقوع النظر على كل قبيح من كل نوع على الاطلاق . واخالنا لا نهذب الشعور في اولادنا وننميه كما ينبغي بل قد نعمل على اضعافه واماتتهِ في انفسنا ، ويا للجهل اذ انهُ من جملة ما يحلّي الحياة ويزينها ، ويخفف من مرارتها ويحليها . واي سرور طاهر وشريف سهل المنال دائم الوجود مثل هذا ؟

ولرب حيّ فيهِ هذا الشعور لا يفتأ يسبح المبدع العظيم بتأمله في صنع يديه . تبهجهُ وتسره خمائل الاشجار ، وحفيف الاوراق ، وشعي الاثمار ، وانيق الازهار ، وزرقة الجلد وصفاؤه ، وغيومه وسحابه ، وزبد امواج البحر ، وتجعدات سطح البحيرة ، وانسياب الانهار بين الجبال ، وانسدال الظل الظليل على الاعشاب ، والهلال ، والبدر ، والزُّهر ، والكواكب ، والنجوم ، فيتمتع بهـا وبغيرها من آيات جمال الطبيعة ومحاسنها

ورب آخر تضيق بهِ الدنيا على اتساعها ، ويحسبها خاوية خالية ، وهي لو شعر ودرى ملأى . وعبثاً تغرد له العصافير ، وتصفق الأوراق ، وترقص الأغصان ، وتنضج الأثمار ، وتتفتح اكمام الأزهار ، وتجري الأنهار ، ويهيج البحر ، وتسجو البحيرة ، وتشرق الشمس ، ويطلع القمر ، وتبدو النجوم ، عبثاً عبثاً تفعل له الطبيعة كل هـذا ، فانها لا تسر له خاطراً ولا تشرح له صدرا

ومن يشيع مليكة النهار اذا مال الميزان بنواظرهِ ، ولا يشعر ان مثل هذا لسان حاله

سبحوا الله لاقتراب المساء حين تنأى ذات البها والسناء
فهي تطوي سبيل هذي السماء لتوافي ابواب تلك السماء

وجميلٌ جميلٌ هو الافق ساعة الغروب ، بل عجيب ورائع جماله ، حتى انهُ قد يخيل لنا ان تلك هي ابواب السماء التي تتوق اليها

المسرات الحقيقية

سئل سقراط أي هي المسرات الحقيقية ، فأجاب : هي تلك المعكوسة عن الالوان الجميلة ، والمنتشرة من الروائح الطيبة ، والممتزجة بالأنغام الرخيمة ، وبكلمة كل ما لا تتألم لفقده وغيابه اذا غاب وفُقد ، وما نحس بلذة وجوده اذا وُجد . ثم استدرك وقال: ولكن أعظم مما تدركه الحواس وتلتذ بهِ ، وأعلى قيمةً وأسمى ، الحكمة والمعرفة وملاذ العقل الناجمة عن قوة الذهن والذاكرة والحافظة ، ملاذ الفهم والادراك والتعليل

برنامج المسرات

ومن الاشياء والامور السارة على وجه البسيطة هذه : القربى ، الصداقة ، والمحادثة ، والكتب ، والموسيقى ، والشعر ، والتصوير وغيرها من الفنون الجميلة ، والرياضة ، والراحة ، وتبدلات اطوار

الطبيعة من نهـار وليل ، ونقاء جوّ ، وهبوب عواصف ، ونحوها . ومنها ايضاً الاحراج ، والحقول ، والأنهر ، والبحيرات ، والبحار ، والحيوانات ، والاشجار ، والازهار ، والاوراق ، والفواكه ، والاثمار ، الى ما لا يعد ولا يحصى لو قدرنا كل شيء قدره

النفس والجسد

النفس والجسد يؤلفان انساناً كاملاً بقدر ما تأمر النفس بالمعروف وتحكم بالعدل والحكمة ، وتسهر على حركاتهـا وسكناتها ، وبقدر ما ترفق برفيقها الجسم ، وتنيله حقهُ كائناً ما يكون ، وحقهُ فقط لا اكثر

ولكن اذا استتب الحكم للجسد ، فاستوزر الشهوات ، فأول مظلمة يجريها ، افساد الفهم ، ويلي ذلك اذلال الارادة ، وضعضعة قوة الاختيار ، وعند ذلك ما الجسد والنفس بصديقين صدوقين ، ولا برفيقين رفيقين ، فيعيش صاحبهما ويموت ، احمق تاعساً

فبكلمة ، اذا لم تكن النفس حاكمة ، استحالت سلامة صحبتها للجسد . فهي اعلى جزئي المرء واسماهما ، ولها يجب ان تكون اليد العليا والأمر النافذ

الفصل الخامس

« الصحة »

النفس والجسد

قلنا الانسان نفس وجسم . وبديهيّ عندنا ان الروحي أسمى من المادي . على ان النفس ، وهي غير منظورة ، تتجلى في حركات الجسم وسكناته ، والجسم أشبه بهيكل لها . ومن الأمثال السائره ، الوجه مرآة النفس ، وغيره مما يدلّ ذات الدلالة

الفرض المقدّس

الصحة فضيلة . والاعتناء بأمور الصحة واجب مقدّس . ومَن ينظر في طقوس اي الديانات ، يجد ان كثيراً من الفروض المرسومة تحت عنوان الواجبات الدينية ، ليس الاَّ صحياً محضاً وان كان يؤول الى نتائج روحية حسنة ، وسبحان الله الموحي الى أنبيائهِ كل آية

اليونان

تهذيب العقل وتهذيب الجسم عند اليونان الاقدمين ، كانا على درجة واحدة من الأهميـة . والتماثيل الفائقة الجمال مما صنعتهُ أيادي نحّاتيهم ، ولم تقوَ عليهِ أنياب الزمان ، تكاد تنطق بهذا الأثر عنهم . بل ومن أمثالهم التي لا تزال تدور على الألسنـة « العقل السليم في

الجسم السليم» . واذا سلم العقل ، سلمت النية ، وصحت التصرُّفات ، وجاءت خالصةً من كل شائبة

النظافة

يقول المثل القديم : النظافة من الايمان . وابحاث العلم الحديثة ، تسفر عن وجه هذه الحقيقة ، وتؤيدها وتجلو أسبابها ، وتزيل كل شك وريب . كيف لا وقد اتضح لنا تمام الاتضاح ، ان أغلب الامراض العضالة القتالة ، لا تتولد جراثيمها تولداً محلياً ، بل ان تلك الجراثيم هي حيوينات صغيرة لا تنظر بالعين المجردة ، تستضيف جسم البخيل على جسمهِ بالتنظيف والاعتناء ، وتحلُّ عليهِ ضيوفاً لا أثقل منها . ومن هذه الأمراض الهواء الأصفر والجدري الذريعا الفتك . والنظافة يجب ان تشمل أجسامنا ، ومساكننا ، وملابسنا ، ومشروبنا ، وماكولنا ، والهواء الذي نتنفسهُ جميعاً

جسم الانسان

هو عجيبة العجائب . فالجلد مثلاً ، وهو اللباس الطبيعي الذي تحته من الاعضاء ، نسيج من العروق والشرايين التي تطول الاميال العديدة اذا انسلّت ، المتخلل خيوطه هذه ملايين من الخلايا ، هذا وحده يقضي عجبنا اذا ذكرنا انهُ دائم التجدُّد في كل دقيقة وثانية . وهو ككل ملبوس يجب ان يغسل ويطهر ، ويا للعجب كم من الناس

لا يعبأون الاَّ بظواهر الامور . تراهم كثيري الاهتمام والاعتناء بتدريج الشعور والغرر البادية للعيان ، وقليلي الالتفات او عديميهِ الى ما تستره الأثواب ، التي يغلب ان تكون غاية في الزينة

آفة من آفات الجسم

اهمال استعمال أعضائه ، ولا سيما الرئيسية منهـا . وقد مرَّ بنا الكلام على ذلك

ضربة ولعنة

هما التنعم والتلذُّذ بالمآكل والمشارب التي تسمى فاخرة ، وان هي الاَّ سموم قتالة

المسكرات

بئس التشبيه ، تشبيه جداول المياه الصافية ، المنبثقة من صدور الجبال ، الجارية في بطون الأودية ، بكل هدوء وسكينة ، الاَّ اذا سقطت من على ظهور الصخور ، فأسمعت صراخها ، أو تعرضت لها الحصى ، فصعدت انّاتها ، قلتُ ، بئس تشبيه هذه الجداول البريئة الطاهرة ، بالحيات والافاعي المنسابة ! ! اذ اين سمها وفتكها بشاربي زلالها وعذوبتها ، من سموم المسكرات وفتكها ، الذي ليس بعده من فتك

فالمسكرات سموم . ولا حاجة بنا الى التحذير مما عُرف كذلك لقوم يعقلون

الخمرة

جذّابة اذ تستميل عيوننا انّى تروق بكاسها وترقرق
مكارة اذ تستميل قلوبنا حتى تبيت لحسنها تتعشق
خداعة اذ كم تغش نفوسنا حتى تصير لما تقول تصدق
سرّاقة اذ كم تُضِل عقولنا او بعد عقلك من متاع يُسرق

***

فليكرع الماء النقاخ حكيمنا وليرشفنّ السلسبيل الأحمق

مقدار ما نأكل

اذا كانت اضرار المسكرات فاحشة فاضحة ، فاضرار النهم والجشع شرّ أشد ضرراً . وهذا الشر ان لم يكن كغيره مجلبة للعار والاحتقار ، فهو ككل شر ، يجب تجنبه والابتعاد عنهُ لأن كثيرين يقضون فريسة له . والناس لا يزالون يزيدون استخفافاً بامره

الاعتدال : الاعتدال في كل شيء ، تقول الطبيعة . والاعتدال ليس ضعفاً كما يزعم المموهون والمموّه عليهم ، بل هو القوة بعينها . لان المعتدل في تصرفاتهِ ، هو القوي الارادة ، الملازم للصراط المستقيم ، لا يحوّله عنهُ ميل ولا هوى

فلا تطل الجلوس الى المائدة ، ولا تلتهم التهاماً . ويقال ، ان الأفضل في غالب الأحيان ، ان ينهض الآكل على جوع

وانهُ لغني عن البيان ، ان العقل لا يقوم باعماله تمام القيام آن امتلاء المعدة بالطعام . ولما كان ذلك فكم نرى أصحاب الأشغال العقلية ، لا يستأنفونها الاَّ بعد شيء من الراحة

ولنأكل لنعيش ، ولا نعش لنأكل

«تطويل الوقعات» تفسيره في قاموس الطبيعة « تقصير الحياة »

ناهيك بما يرافق خلو المعدة وارتياحها من الراحة العمومية للجسد ، ومن الخفة في الروح ، والرشاقة في الحركات ، الى غير ذلك. اما حشوها وتحميلها فوق طاقتها ، فمعناه انقباض نفس ، وارتباك ، وحيرة ، وسويداء ، وضيقة صدر . والمصابون بعلة سوء الهضم في الدنيا هم وحدهم النصف ، والمصابون بسائر الأوجاع ، هم النصف الآخر

الصحة هي الاعتدال

قيل الصحة مجموع عادات حسنة واعتدال في الاكل والشرب . وبالاكثار من الرياضة والخروج في الهواء المطلق ، والاستعمال للماء البارد والاعتدال في الطعام ، يمكن لاكثرنا ان لم يكن كلنا ان نتمتع بهذا الشعور المجيد الشعور بالنشاط والقوَّة وان نرتع من خريف شيخوختنا في ربيع دائم

الصحة وحالة النفس

ان الحقد والبغض والحزن والخوف ، لمن جملة المؤثرات الفعالة

على الصحة ، بل على حيوية الجسم كافة ، كما ان الابتهاج وسلامة الضمير ، وخلو الفكر ، مما يزيد الجسم صحة ، والعمر طولاً والحياة سعادة

الصحة والعمل

نادر جدًا ان نسمع بصاحب همة كان مجرّد اجتهاده السبب الوحيد في صرم حياتهِ . وذلك لان العمل والشغل من اللوازم الطبيعية بخلاف الاهتمام والحصر والاجهاد ، فان هذه وأمثالها ، متلفة للتركيب الجثماني

ومن الحقائق الراهنة ان اكثر قصيري الأعمار هم الكسالى البطالون ، الذين اذا عملوا فعلى اشباع شهواتهم ، واذا انطلقوا فمنقادين لأهوائهم

الأرَق

اذا استولى عليكَ الأرَق ، فلا تجزع له . بل انك اذا حسبتهُ عدوًا يريد بك شرًا ، فالجزع والخوف منهُ ، والتحسب لعواقبه ، مما يمكّنهُ منك ، وينفذ بغيته فيك . فالأرَق لا يُغلب الاَّ باللطف والتسليم ، وعبثاً تقاومهُ . ونصيحتي لك ان اقصد الى أماكن النزهة والابتهاج ، واعمد الى المسرّات البريئة ، واشغل قلبك بالافكار المفرحة ، السارّة الطاهرة ، حتى اذا جئتَ الفراش ، كانت هي لا المقلقة والشواغل المحزنة ، ما يسهدك ويمنع عنك ملاك النوم

والأرَق ما قتل أحداً . والخطر الوحيد في امره ، الالتجاء الى الأدوية والعقاقير المنوّمة . فلتكن هذه آخر حيلة تلجأ اليها

والنوم بركة عظيمة لا يعرف قيمتها الا من عدمها

ومعدَّل الوقت الضروري اللازم يتراوح بين الست والثماني ساعات يومياً ، وخيره ما ابتدأ باكراً وانتهى باكراً

قد يكون الفكر مصدر العلل

كثيراً ما تكون العلل الجسمية ، راجعة الى الفكر او النفس باسبابهـا . والصحة ليست وسيلة من وسائل السعادة فقط ، بل هي ذريعة ضرورية لاتقاء أتعاب الأعمال ، والقيام باعبائها . وفي هذه الصفة تنحصر قيمتها الحقيقية . وعليه فالمجازفة بقوة الجسم وحيويته ، وعدم المبالاة بأمر الصحة ، جريمة لا تغتفر

الاجهاد

إجهاد النفس في العمل بقصد الاسراع فيهِ ، مما يعرض المجهد الى أضرار عديدة ، أقلها عدم احكامه واتقانه لعمله ، فضلاً عن إنهاك الجهاز العصبي ، ووخيمة هي عاقبة هذا الانهاك

الصحة تاج على رؤوس الأصحاء لا يراه الا الضعفاء

شتان ما بين معتلٍّ تقلبهُ أوصابه وبمـا يضني تعذّبهُ
يرى الحياة شقاء لا هناء بهـا ويطلب الموت والاسقام تطلبهُ
وبين كل صحيح الجسم ترهبهُ م الاوصاب فهي لعمري ليس تقربهُ
يرى الحياة هناء لا شقاء بهـا يرجو الحيـاة وهذي لا تخيبهُ

الفصل السادس

« التهذيب والأمة »

أساطير الأقدمين ، وكتب المتأخرين ، وكتابات المعاصرين وأقوالهم ، كلها مجتمعة على الاقرار بفضل التهذيب ، محرّضة على اعلاء مناره

واليك سلسلة أفكار وأقوال جاءت بهذا الصدد : قال افلاطون التهذيب أجمل شيء في أحسن انسان . وقال فولّر : التعليم أعظم صدقة يجود بها المحسنون اذا أرادوا مدّ يدٍ بيضاء الى المعوزين والفقراء . ومونتاين الفرنساوي يصرّح بأن الجهل هو أبو الشرور والجهالة امها . وقال فيلسوف : القوة بدون معرفة خطر ووبال ، ومعها مصنع خيرات ومنافع . وشاعرنا شاكسبير يقول :

ان الجهالة لعنةٌ وجهنم لأولي الجهالة بل همو أهل الجحيم
لكنَّ معرفة الفتى ترقى بهِ أوجَ العلاء وداره دار النعيم

عهود العلم فى تاريخ المدنية

في العصور الخالية ، كانت تقوم الفلاسفة ، وتنبغ النوابغ ، من آونةٍ الى أُخرى ، وتظهر العلم باجلّ جلال ، واجلى رونق . انما لا يُفهمنَّ من هذا ان التهذيب رقي معارجه العمرانية رقياً مستمراً

بدون عقبات ومشاكل . والحق يقال ان له ثلاثة عهود متداخلة متلاحقة

فمن عهدٍ كان فيهِ العلم من ميزات الرجال ، محظوراً التوسع فيهِ على النساء ، حتى جرى المثل الالماني ان خزانة المرأة هي مكتبتها ، وشاع القول الافرنسي : ان المرأة يجب ان تلزم مابين الاناجيل الاربعة أو ما بين الجدران الاربعة . وبلغ ذلك التقيد مبلغ ان حسبوا العلم من ميزات الرهبان والكهنة دون سائر اصناف الناس . وسببه انهم جهلوا قدر العلم وما ادركوا شرف العمل ، اذ كانوا ينظرون الى القاريء الكاتب كمن يحسن به الترفع عن كل عمل يدوي . حتى ان الدكتور جونسن ، مع تضلعه من العلوم ووثوقه من الحقائق كان يقول : لو تعلم كل الناس وتهذبوا فمن يقوم لنا بالاعمال اليدوية

ومن عهد آخر ، عُوّل فيهِ على اقتباس اللازم واللازم فقط ، من اصول الخط والقراءة والحساب فكانوا يعلّمون تلك المبادىء آتين بالطالب الى الحد المعين منهـا ، فيوقفونهُ عنده ، حذر ان يؤهل نفسه للاندماج في أهل طبقةٍ أسمى من الطبقة التي وُلد فيها . تلك كانت ايام الظلمةِ والظلم ايام لم تكن عرفت الحرية ولا المساواة

اما اليوم ، والعلم في عهده الأخير فاننا لا نقول انهُ يُطلب من الحكومة أن تعمم التعليم الاجباري بين جميع رعاياها – لا نقول هـذا فقط ، بل نزيد ونطلب منهـا (ولنا ان نطلب وعليها أن تجيب) ان تعمم التهذيب ، تهذيب الناشئة ، القائم بتهذيب عواطف الاحداث

وأخلاقهم ، بحيث يشبّون على شريف الخصال ، ومستقيم المبادئ ، ويصيرون رجال علم وعمل

التعليم الاجبارى

قال أحد ساسة سويسرا : أغلب اولادنا يولدون فقراء ، ولكننا لا نتركهم ينشأون ويترعرعون ، ويعيشون جهلاء . والحمد لله نحن ايضاً قد انزاحت تلك الغشاوة عن بصائرنا ، وصرنا نرى اهمية تعليم كل ابن أمير وكل ابن صعلوك من ابناء الوطن

لمـاذا

ألأن ذلك من الكماليات ، ونحن كدولة راقية قد أحرزنا الضروريات ، وهذا من جملة الكماليات التي تنقصنا بعد ؟ لا لعمري ! اذ ليست تربية اطفـال اليوم أي رجال الغد ، وتثقيف عقولهم ، وتهذيب نفوسهم من الكماليات ، بل انها لمن ألزم اللزوميات . فالعلم اساس العمران . بهِ تقوى اركان الامة . وكل امة جاهلة يتهدم بنيانها وتسقط اركانها ، لا محالة

ولماذا ايضاً

لأن سنَّ الشرائع يستدعي علماً – علماً بالتاريخ وفلسفة الاجتماع وكل العلوم العمرانية – ولأن تنفيذ الشرائع يستدعي تهذيباً يشرّب

النفوس حب العدل وكره الظلم ، حب العفة والنزاهة ، واحتقار الهوى والرشوة . ولأن الشعب اذا تعلّم وبالأحرى اذا تهذّب أحب الحكومة ورعى حرمة قوانينها كيف لا واذا قابلنا بين احصاآت الجرائم وبين احصاآت المدارس لسنين معينة وجدنا معدل عـدد المجرمين يقل بنسبة زيادة عدد المتعلمين

وسببهُ ان جزءاً زهيداً من الجرائم الفظيعة ينتج عن ميل الانسان الغريزي الى الشر ، وعن ضعفه لدى التجارب . . اما المصدران الكبيران فهما السكر والجهل

وحسب المدارس منفعة ، انها تحفظ الاولاد الميالين الى التقليد والتشبه من مشاهدة مفاسد ومساوئ أهل البطالة والكسل ، المنتشرين في الازقة وحوشاً ضارية تقتل اطفال الانسانية . حسب المدارس انها بمجرد تنفيذ قوانينها تقلّل فُرَص معاشرة طلبتها للاوباش والأجلاف والسكيرين ، وبالنتيجة فرص اقتباس عاداتهم . هـذا فضلاً عما فيها من التعويد على الحسن والشريف من العادات والمعاقبة على الدنيء السيء منها

من هو المهذّب

أهذا صواب أم خطأ ؟

أهذا خيرٌ أم شرٌ ؟

أهذا جميل أم قبيح ؟

ان هذه الأسئلة تقوم في النفس مراراً كل يوم . اذ الانسان خلقٌ عاقل يتصرف بعد التفكير . واعمال الحياة يغلب ان تكون من نوع الصواب والخطإ ، او الخير والشر ، او الجميل والقبيح . فالمهذَّب هو من يسأل نفسه أحد هذه الاسئلة في حينهـا ، ويجاوب حسناً ، ويعمل حسناً اذا لزم العمل

ماهية التهذيب والغرض منه

الغرض من التهذيب تهيئة المرء لسعادة الحياة وللقيام بعمل يذكر فيها . ومجرَّد القراءة والكتابة ومعرفة اصول الحساب وصرف اللغة ونحوها ليس كل التهذيب ، كما ان السكين والشوكة والملعقة اذا وُضعت على المائدة لم تكن الغداء المطلوب

فماذا يجب ان نتعلم

كثيرة جدًّا هي الاشياء التي يمكن تعلّمها ، ولكن على الانسان ان يختار لنفسهِ بعضاً منها فقط مما يوافقهُ من كل قبيل

لدينا كتب السلف المحتوية على أفكارهم وأساليب تعبيرهم وعديد مفرداتهم ، مما طمسهُ الزمان فبات في حكم المجهول . فدرسُ تلك الكتب لا أقول انهُ مضرّ لكل انسان ، ولكنهُ لا مشاحة غير ضروري لكل انسان . ذلك لقلة ما يرجى من الفائدة من معرفة

مترادفات لا تحصى لكلمات يكفي القليل المألوف منها لأجل التفاهم ، ولامتناع هذا مع استعمال الغريب القديم من التراكيب والعبارات . بل رحمة بالوقت ! فاننا نصرف في درس اليونانية واللاتينية القديمتين وقتاً يجب ان يصرف في غير سبيل

المعلمون

واجباتهم عظيمة ، والمسؤولية المنوطة بأعناقهم ثقيلة ، اذ التسلية وتمضية الوقت مع التلامذة أمر بسيط هين ، أما تعليمهم ، وتربيتهم ، وتهذيبهم ، وتثقيف أذهانهم ، وترقية مداركهم فهذا هو الفرض المقدَّس المرسوم عليهم

وربما كان أسهل من سهل على المعلم ان يدرِّس ويُفهم التلميذ مسألةً نحويَّة او حسابية . أما ان تُساعد النفس الحديثة ، ان توفر قوتها وتزيدها ، ان تبعث في صاحبها روح الأمل والرجاء والاجتهاد ، ان تنفخ في رماد الاهمال تلك الجمرات التي استودعتهُ اياها الطبيعة ، فتظهر نوراً وناراً — ذلك ليس بالسهل بل هو عمل عظيم لا يأتيهِ الاَّ من حباهم الله بهذه المواهب السامية

كلمة في التهذيب

على طلبة التهذيب ، ولا أقول العلم ، ان يتعلموا أشياء وان ينسو اخرى على حد قولهم : تعلم السحر ولا تعمل بهِ

وفي الاختيار بين ما يجب اتباعه و بين ما يجب الاقلاع عنهُ مما يستفاد من الكتب ، تنحصر مقدرة المعلم على تهذيب الطالب ، ومقدرة الطالب على تهذيب نفسهِ

والتهذيب لا يقصد بهِ اعداد محامين وقواد وأساتذة او ارباب صناعات وتجارات وعملة مجيدين لا غير ، بل ان صفته اللازمة انماء رجل الغد من طفل اليوم . والتهذيب التام بنظر ملتن هو الذي يؤهلك لاتمام كل الوظائف الشخصية الخصوصيـة والغيرية العمومية آن الحرب وآن السلم بكل اتقان وحذق وأمانة

كيف ينال

قال جونسن : من يتصوَّر ان الافكار لا توجد الاَّ في الكتب وان في الكتب كل الافكار ، فما هو الاَّ متصوِّر . فالافكار تجري مع الانهار والمجاري ، وتطفو على وجه البحر ، وتتكسر على شواطئهِ ، وتسكن التلول والوعور ، وتسطع مع نور الشمس ، وتنسدل على أجنحة الظلام . الافكار موجودة في كل أينٍ وآن . وما الطبيعـة ، اذا اعتزلت الناس ، الاَّ سفر ، لله من يقرأه ويفسر آياته

القراءة — التأمل — المحادثة

قال لوك : ثلاثة هي طرائق التهذيب ، تبتدىء الواحدة حيث تنتهي الأخرى

الأولى : قراءة الكتب وادراك معانيها

الثانية : التفكير والتأمل الشخصي في تلك الافكار والمعاني

الثالثة : محادثة الغير بها واختبار سقيمها من صحيحها ، وسليمها من فاسدها

الفصل السابع

« تهذيب المرء نفسه »

التهذيب هو التناسب بين القوى والمواهب الانسانية ، في الإنماء والترقية

وهو يبتدئ مع اول ادوار الحياة ، و يستمر على توالبها ، فالمربيّة أو الام تكون اول مهذب للولد ، ثم الاب ، ثم المعلم ، فالاختبار والايام والتجارب . وكم من آدميّ أخرج الى حيز هذا العالم ، ولم يعرف أماً ولا أباً ، ولا معلماً ، فاتخذ الوقت الثمين أباً ، والفرصة العزيزة أماً ، والايام والظروف إخواناً واعواناً ، وعاش ما عاش ، وترك هذا العالم شاكراً حامداً

فلكل انسان على قول جُبنٍ ، تهذيبان ، تهذيب يحدثهُ فيهِ الغير ، وتهذيب أهم وأجدى ، هو يحدِثهُ في نفسه

الصفحة البيضاء

قيل ان قلب الطفل صحيفة بيضاء ، يرسم عليهِ العلم والاختبار سطورهما ، وقلب الشيخ سفرٌ مدوَّن فيه كل ما تعلمهُ واختبره في حياته فانت ايها الشاب اعلم ان صدرك ليس ليبقى خالياً فارغاً ، بل انهُ

سيمتلئ مع الايام . وانما العبرة بنوع ما تختزنهُ في احشائه ، وتنقشه على لوحه من الخير او الشر

المدرسة والعالم

كثيرون من رجال الدهر ، الذين يتمنى المجتهد ان يقاس ولو بقيراط من عظمتهم ، اجل عدد يذكر منهم عُرفوا ايام تلمذتهم بالبلادة وخمول الذهن ، وبالطيش وقلة الاكتراث بالدروس . ومن هولاء ، القائدان ولنكتن ونابوليون ، والعالم الفلكي اسحن نيوتن ، والروائي الطائر الصيت السر وُلتر سكوت ، والشاعر المعروف شريدان ، والكاتب المرّ دين سوفت وغيرهم من طبقتهم

هذه كلمة نقولها ، لا لنُطمع الكسول ونشجع الطائش من طلبة المدارس ، لا لعمر الحق لا ! بل اننا نقولها وبكل شدة واخلاص ، رجاء ان يتمسك بها ذلك المهتم بدروسه ، المستلب الساعات من مخالب الافات ، حباً بتهذيب نفسهِ واستزادة علمه ، رجاء ان يتشجع ويثابر على جده واجتهاده ، عالماً انهُ لا يُعدم جزاء في العالم اذا كانت تفوته الجوائز في المدرسة

ولقد ذكرنا في اول هذه الفصول ما يجب ان يكون للاذكياء الممتازين في المدرسة عبرةً وذكرى

ازالة وهم

يتوهم البعض ان العلم مصدر الشرور ، ويعتبرون العيشة الطبيعية أم الفضيلة . وما توهمهم الاَّ لعدم فرقهم بين حقيقة الجهل وبين البرارة وسلامة القلب . فانهم يزعمون ان البـارَّ سليم القلب صافي النية كالطفل في سريره ، على ان الواقع خلاف ما يتوهمون ويزعمون . فان المرء بعد بلوغه أشده ورشده ، اذا سلبته معرفته وجدته في طور الهمجية ، لا في دور الطفولة ، وكان لك منه وحش ضارٍ بشكل انسان . هذا لأن العلم هو دليل الانسان وقائده في هذا العالم ، يميل بهِ الى الخير تارة وعن الشر أخرى

وخلاصة القول ان العلم للنفس كالبرارة والقداسة والطهارة — اللهمَّ ان لم يُشَب ويفسد وقد يجرب السليم ويخبث الطيب

العلم غرام

مَن أتيح له في حداثته ان يذوق لذة العلم ، لا بدع ان أُولع بهِ كل الولوع فيما بعد ، فتعشقت نفسه فناً من الفنون الجميلة ، او تعلقت بفرع من الفروع العلمية العمرانية ، او الطبيعية

فهام بكل وادٍ من هواه وأغنى نفسهُ وحيا سواه

الشباب والمشيب

من جملة الأقوال الافرنسية الرنَّانة قول أحدهم :

ليت الشباب حكيمٌ مثل المشيب الحكيمِ
ليت المشيب قويٌّ مثل الشباب القديمِ

والتهذيب الكامل من شأنه ان يخلق فينا حكمة في الشباب ، وان يحفظ قوة شبابنا الى المشيب

مدرسة العالم باهظة القسط

قال فرنكلين : تجارب الايام ، ومصائبها ونكباتها مدرسة باهظة القسط ، موبقة الكلفة . اما الجهال ، والحمق ، والخرق ، فتأبى عليهم جهالتهم الاَّ ان يتعلموا فيها ، والشقاء ما يستفيدون

اطلب المعرفة من الكتب ، فان في الكتب حكمة العالم

رب علم يكون بالنسيان

من أحسن الابتداء قد يحسن الانتهاء

نعم صعب علينا ان نتعلّم ما نجهل ، ولكنه أصعب وأصعب ان نجهل ما تعلّمنا ، اذا كان مما علمه مضر وجهله أنفع . فلنسهر على تهذيب ناشئتنا وتعليم اولادنا كل السهر ، لئلا ينشأ الطفل على اعوجاج في المبادئ والاخلاق ، وهيهات ان يُقوَّم اعوجاجه بعد الكبر ، آخذين بقول القائل

« قد ينفع الأدب الأحداث في صغرٍ
وليس ينفع بعد الكبرة الأدبُ

ان الغصون اذا قوَّمتها اعتدلت

ولا يلين اذا قوَّمتـه الخشبُ »

فيا أيها المطالع المهذب نفسه ! اعمل على استبقاء الاحسن الأفضل فقط مما تقرأه في الكتب أو تجده في الناس أو تتلقاه من افواههم . ولا تخجل من نفسك ان ترى غيرك أعلم منك وأخبر ، انما اذا رأيت من نفسك القعود عن الاكتساب والاستفادة ، وكان لسان حالك غير —

« اذا مرَّ بي يوم ولم أتخذ يداً

ولم استفد علماً فما ذاك من عمري »

فعند ذلك فاخجل ، ولُمْ نفسك ما تشاء

التعليم شيء والتهذيب آخر

التهذيب وهو وكيل الحكمة ونائبهـا في من تخلّت عن صدره الحكمة ، لا يقوم بتعبئة الذهن من المفردات والتراكيب او الحقائق مستقلةً منفردةً — فان هذا هو التعليم بعينه . ولكنهُ يقوم بزرع المبادئ الشريفة السامية في النفس رجاء ان تأتي بالخمسين والستين والمائة ضعفاً

كلمة فى العلم

قال كنسلي : العلم قوة . العلم باسرار الكهربائية واختراع التلغراف

يقتصد من الوقت ، ومعرفة الكتابة تكفي الانسان مؤونة المكاتبة او الانتقال بقصد المخاطبة ، وعلم الاقتصاد يوفر الدخل ، والعلم بالنواميس الطبيعية والقوانين الصحية معوان على حفظ الجسم واطالة الحياة

كلمة الى طلبة العلم

قال السر فتش : ايام تلمذتي ، كنت ادرس الكثير من مثالي ، مكرهاً مرغماً ، لا كمن عرف ان كل ما يتعلمهُ لغةً كان او تاريخاً او جبراً او هندسة او غيرها سيعود عليهِ ببعض النفع يوماً ما

اما اليوم ، بعد ان قطعتُ مرحلة طويلةً من مراحل الحياة ، فانني انظر الى الوراء فأرى ان كل فقرة تاريخيةٍ ، وكل رأي فلسفي ، وكل قاعدة لغوية ، وكل عملية حسابية ، وبكلمة كل ما كنت محمولاً على درسه ومطلوباً مني فهمه ، قد افادني بصفته الخاصة في حال من الاحوال ، إما في مطالعاتي ، او في معاملاتي ، او في كتاباتي ، او في غير هذه من المجاريات اليومية

فليعتبرنَّ المتأففون ، المتذمرون من درس ما لا يوافق اذواقهم تمام الموافقة

بل ان تكلف الصعب ، وفعل المطلوب لمجرّد كونه مطلوباً ، يكسب الفاعل قوة يُفتقر اليها في أغلب الأحايين ، وما تلك الا قوة الارادة

كيف ندرس

ارحم الوقت ترحم نفسك

اذا أردت ان تدرس شيئاً ، فانصبَّ عليهِ انصباباً ، واجمع كل قواك ، قوى عقلك ووجدانك جميعاً حوله . فلا يكون الا القليل الاَّ وقد درستهُ كما يجب ، والاَّ كنت قاتلاً للوقت ، خادعاً لنفسك . ولا تكن ممن لسان حالهم قول القائل او مماثله :

« لا تكلفني القراءة اني مغرم في هوى الغزال النفور
فاذا ما فتحت يوماً كتاباً طاف طيف الحبيب بين السطور »

الانسان

وما أعجبهُ من مخلوق ! !

يتخذ نفسه مقياساً للعالم والكون بأسرهما . أعظم الجبال علواً وأعظم البحار عمقاً يقيسها باقدامه . وكل العلوم الحسابية ، والرياضية التي يتنبأ بها كسوف الشمس وخسوف القمر ، ويقدّر المسافات الكائنة بين الكواكب والسيارات ، ويزن اثقال الاجسام الفلكية القاصية البعد الهائلة الحجم ، كلها مبنية على عدد أصابع يد من يديه

وما أضعفه من مخلوق ! ! !

ما أحقرنا وما أضعفنا بين المخلوقات والكائنات ، وكم يتسنى لنا ان نعظم ونقوى . الانسان سر الاسرار . وهذه مسألة المسائل

قال باسكال : الانسان قصبة تحركها الريح ، وأضعف شيء في الطبيعة (ولكنه قصبة عاقلة تفكّر) فلا يحتاج لذراع الكون بقوتها لتكسره وتحطّمه . نقطة ماء تخنقه ، وتذيقه حتفه . ولكنه مع كل ضعفه وحقارته بجانب عظمة هذه العوالم المالئة الفضاء انهُ لأشرف منها وفوقها جميعاً . لأنه يعرف انه يموت والعالَم لا علمَ له بذاته

الكمال الانسانى

التأني والتثبُّت والمحبة والاخلاص ، وسلامة العقل وصحة الجسد — هذه هي أهم الصفات التي تقرّب البشر من الكمال البشري المطلوب . فمن لا يتأنى ولا يتثبت اموره ، ابداً معرَّض للوقوع في شر التسرّع والعجلة في الاحكام والمعازم . ومن أخلى قلبه من المحبة وصدره من الاخلاص ، لا يلبث ان يملأهما بحب الذات وحب الذات من الكمالات الحيوانية ، والنقائص الانسانية ، فكيف عساه ان يقرب من الكمال الانساني

الكمال البشرى

أقرب الناس من الكمال الممكن ، ذلك الذي يحفظ جسمهُ من غوائل الافراط والتفريط ، بأن يعيش معتدلاً شريفاً عفيفاً ، ومَن ذهنه خزينة حكمة ومعرفة ، جمعتشتاتهما من المنقول والمسموع ، ومَن لا يجول في مخيلتهِ ، ولا يخطر في ذاكرتهِ ، الاَّ كل جميل طاهر ، ومَن

ضميره على سلام معهُ ، فلا يَخِزُهُ توبيخاً وتبكيتاً . هذا هو المقترب من الكمال ، والسعيد السعيد

الحقيقة بنت البحث

يقول ستورت مِلّ ، المنطقي الشهير ، يجب على طالب التهذيب ان يشعر بأنهُ حرُّ الفكر ، له ان يجاري الغير في معتقداتهم ، وله ان يخالفهم فيها . ومن ثمَّ فعليهِ اذا شك في صحة أمرٍ ان يبحث وينقب جهده ليقف منهُ على ما يروقهُ ويقنعهُ . وعليه أيضاً ألاَّ يلقي الكلام على عواهنهِ ، وألاَّ يأخذه بدون رويَّة واعمال فكرة

لله فى خلقه شؤون

فبعضَ الأزاهر لا عطر فيه ولكن بعضاً زكيٌّ وعاطرْ

***

فمثل البنفسج ان راح يرنو اليكَ بطرف كسير وكاسرْ
ومثل القرنفل ان قام يزهو ولاقاكَ بشراً بخير البشائرْ
ومثل الورود ملوك الربيع ومثل الزنابق تلك الطواهرْ —
أكلُّ الازاهر تحلو لراءٍ يراها وتشرح منهُ الخواطرْ ؟؟

***

كذلك ان بني الناس زهرٌ يُسرُّ وزهرٌ يَسوء البصائرْ
وان المهذَّب زهرٌ لطيف جميلٌ منيرٌ سني وباهرْ
وغير المهذَّب زهر ولكن انسان عينك منهُ لنافرْ

الفصل الثامن

« المكاتب »

منذ خمسمائة سنة قال احد كبرائنا الاسقف ريتشر دبري في وصف الكتب ما مؤدّاه : هي الأساتذة التي تعلمنا بدون عصا ولا قضيب ، بدون حدّة ولا كلمات خشنة . بدون اجرة ولا مكافأة ، تأتيها أنّى شئتَ فلا تجدها نائمة . تستفهمها وتسائلها في ما تهمك معرفته ، فلا تضنّ عنك بما عندها ولا تخفيهِ عليك . تخطئها وتناقضها ، فلا تتبرّم منكَ ولا تحقد عليكَ . واذا كنتَ جاهلاً فلا تضحك منك ولا تسخر بك

فالمكتبة اذاً ، هي كل الغنى ، ولا شيء يضاهيها او يساويها . ومن ابتغى الحكمة والحقائق وطلب السعادة ، فليعشق الكتب ويولع بالمطالعة

اليوم

فاذا كان هذا الكلام في محله في تلك الأيام ، فما أوقعه اليوم ! اذ أين الكتب وانتشارها قبل هذه المدّة المديدة ، من الكتب وانتشارها في أيامنا الحاضرة

ما أرخص الكتب اليوم !

بثمن زجاجة الجعة [١] او علبة اللفائف [٢] تشتري ما قد تقضي شهراً كاملاً بمطالعته

ما أجمل الكتب اليوم !

نحن اليوم نعتبر زخرفة الكتب ومظهرها الخارجي ، فنذهبها ونهتمُّ لنوع ورقها وتجليدها ، حتى تجيء لطيفة جميلة خفيفة ، بينما في أيام الكاتب المذكور كان الكتاب حملاً ينقل

ما اكثر النفيس من الكتب !

لعصره كان الكثير من آثار الأقدمين لم يكتشف بعد . وبعد عهده كم من كاتب وشاعر وفيلسوف وعالم ، كتبوا وألَّفوا ، وكم من علوم استنبطت ، وأخرى قديمة نُسِّقت ، كالكيمياء والتاريخ الطبيعي وعلوم طبقات الأرض والحيوان والنبات والفلك الخ

المكاتب والاقتصاد

قال احدهم : ان لم يكن تعاطيَّ العلم زاد دخلي ، فانهُ لا شك قد عمل على توفيره . لأن انعكافي على المطالعة منعني من تبذير ما تسرَّب الى يدي من الدراهم تبذيراً لا يعود بفائدة

أما نحن ، اذا حضضنا على انشاء المكاتب ، وفتح غرف القراءة وترويج بضاعة القلم والورق ، فليس لان الاقتصاد وحده يصوِّب

(١) البيرا (٢) السكاير

لنا هذا الرأي ، بل اننا نرمي الى غاية اسمى وأرفع ، هي جعل ابناء وطننا اصدق وطنية ، وأتم استعداداً لخدمة الوطن

المكاتب العمومية

نودّ ان الحكومة تعدد غرف القراءة والمكاتب العمومية ولا سيما بين ظهرانيّ الطبقتين الوسطى والسُفلى من الشعب . لان ذوي الحُرف والمِهن البسيطة كالنجار والعامل والحانوتي وامثالهم لفي اشد الحاجة الى ما يدفعون بهِ شياطين الملل والضجر . وعندي ان التردد الى المكاتب ، وورود مصادر الاخبار والروايات والمعاني على اختلافها، خير ما يدفع الضجر ويجدد القوى في مثل هؤلاء المجتهدين المعانين اتعاب العمل

ولا ننسَ العملة الذين لا يعرفون الا آلة من آلات المعمل الكبير الحاوي الالوف منهم ، المشتغلين بتلك الآلة اذا اشتغلوا وغيرها لا يعرفون . يُخشى على هؤلاء مع مرور الزمن ، ان يصيروا هم أنفسهم آلات حيـة لا اكثر ، فلا نفوسهم تسمو ولا عقولهم تترقى وبئست حالتهم هذه من حالة

على ان ساعات العمل قد أخذت تقل من آونة الى أُخرى ، وباتت تتيسر اوقات الفراغ شيئاً فشيئاً ، لتلك الطبقة من الناس . ولكن كيف يعوضون عن قلة مخالطتهم للناس ان لم يكن بقراءة

الكتب. ولنذكر دائماً ان أوقات الفراغ ليست لتمضّى بعمل «لا شيء». لأن الفراغ اذا لم يلتبس بالكسل فهو مصدر خير وبركات. فهذا عامل، لا شغل له لأيام، فما الأولى بهِ ان يعمل؟ أخيرٌ له من تعبئةِ ذلك الفراغ بمطالعة ما يناسب مداركه وذوقه في احدى المكاتب أو غرف القراءة العمومية؟

مدارس الكبار

نحن نُعنى بتربية اولادنا، وتعليم ناشئتنا، لاننا نعلم يقيناً ان من يتعلم يصبح انسب لمحيط المدنية الحاضرة. وليس من تعلّم وندم. ولكن الذين سنحت لهم فرص التعلّم ولم يستفيدوا من سنوحها اولئك هم المتندمون

فلمثل اولئك المتندمين كما لغيرهم، مفتوحة ابواب المكاتب وغرف القراءة، حيث لهم ان يعوضوا عما خسروه بعض التعويض، او ان يضيفوا الى ما ربحوه ان كانوا من الرابحين

يروى ان فتاة فقيرة معدمة، شاهدت البحر لأول مرةٍ في حياتها، فقالت لأول وهلة وقع نظرها عليه: آه! ما احسن البحر! ان فيهِ ما يكفي الجميع! والحق يقال ان المفتقر الى العلم، الجائع الى الاستفادة ليمكنهُ ان يقول ايضاً: ما احسن الكتب، انها تكفي لكل انسان وتسدُّ كل عوز. فانها مالئة الارض واكبرها قيمة

واجزلها نفعاً، ايسرها وجوداً واقلها ثمناً . والقراءة والمطالعة غنى وافر ، وثروة عظيمة للراغب فيهما . بل ان الثروة مهما عظمت قلما يقنع صاحبها بها ، ولسان حال المُولع بالمطالعة : ان لديَّ اكثر مما استطيع ان اقرأ ! فليشاركني غيري في هذا المغنم الحلال !

ننسى ونهمل ونحتقر

نعم لقد ابتدأنا بتعميم التهذيب في مملكتنا وشرعنا نمرن في احداثنا اليد والعين في الصناعات والفنون ، غير مقتصرين على تعليمهم الاصول والفروع تعليماً نظرياً لا غير ، نعم اننا نفعل هذا ، ونِعْمَ ما نفعل

الاَّ انهُ باقٍ علينا ان نرقى بتهذيب النفوس ، الى درجة ان يعرف الشاب وتعرف الشابَّة ، وعن ثقةٍ تامة ، ان النفس أفضل ما في الانسان ، وان اكرامها وتوفيتها حقها من الاعتبار والتهذيب واجب ، وضربة لازب . فمن ثم لا ينتظر من المتهذّب ان ينقطع الى جمع المال انقطاعاً تاماً وان يقطع عهده مع الكتب بتاتاً . ليعمل العامل ما يعمل ، وليقرأ ويعلّم نفسهُ ايضاً

ولماذا نحتقر العامل الذي لا يعرف الاَّ القراءة البسيطة ، ونحسب ان العلماء والفلاسفة والنوابغ من مخترعين وغيرهم هم وحدهم مكلفون بشؤون الامة ومسئولون عن تقدمها وتأخرها . فلا شك انهُ ينقصنا

بعد ، وهو نقص كبير ، ان نعتبر العامل، ونعتبر العمل اليدوي كما ينبغي

هذا ومن عرف لمَن ولمَن نحن مدينون بنجاحنا وفلاحنا يشعر بوجوب اعتبار مَن يعوزهم اعتبارنا اكثر مما يعوزهم مالنا الذي نستأجرهم بهِ

فالى مَن يعزى تقدم امتنا ؟ يعزى بلا ريب الى حكامنا العدول ، الى ساستنا المحنكين الغيورين ، الى جنديتنا الباسلة ، الى بحريتنا المنظمة ، الى ذوي الهمة والاقدام ، الذين مهدوا لنا سبل الاستعمار ، الى العلماء والكتّاب . . . . ولكنه يعزى ايضاً الى كل فاعل اشتغل بيمينهِ القوية ، وذوّب الصخر بعرق وجهه ، واستعمل دماغه احسن استعمال . واليك البعض من اسماء اولئك الفعلة الذين على أيديهم ، وبفضل اجتهادهم ، أُتيح لنا ان نرقى من معارج الفلاح ما رقينا : فواط كان مهندساً ، وهنري كورت الذي لا تقدّر المنافع المالية التي عادت على انكلترا بفضل تحسيناته وتجديداته الصناعية ، لم يكن الاَّ ابن خزّاف – وهنتسمان مكتشف طريقة صنع الفولاذ ، كان ساعاتياً – وكرومبتون كان حياكاً – وودكود كان خزّافاً – وبرندلي وتلفورد وموشت ونايلسون كانوا فعلة كغيرهم – والمخترع الشهير ستيفنسن ابتدأ حياته كراعي بقر باجرة بنسين يومياً ، ولم يتعلّم القراءة قبل الثامنة عشر من عمره – وولتون كان ابن حياك — وفراداي كان ابن حداد وكذلك نيوكومن — واركريت ابتدأ حياة العمل

كحلاق — والسر همفري داڤي كان خادماً متتلمذاً عند بائع عقاقير — الخ

لهؤلاء الرجال وامثالهم فضل عميم مقيم، وعلى انكلترا ان تذكر جميلهم كما تذكر وتشكر سواهم من رجالها كالقواد والساسة الكبار

الامة المتمدنة

كثيراً ما تنعتُ امة بمتمدنة واخرى بغير متمدنة . على ان التمدُّن الحقيقي لم تتصف بهِ امة تمام الاتصاف بعد . ونحن اذا كنا في عداد تلك الأمم المطلق عليها اسم متمدنة ، وشئنا ان نُعرف بهذه الصفة عن استحقاق ، فاهتمام حكومتنا ومحسنينا بانشاء المكاتب وفتح غرف القراءة ، واقبال افراد امتنا عليهـا ، من جملة ما يؤهلنا تمام الأهلية لتلك الجدارة

تسلية البائس

كثيرون هم اليائسون البائسون ، الذين يرون نور الحياة ظلمة ، وبياضها سواداً . وكثيرًا ما يكون التجاؤهم الى ما يخففون بهِ وطأة اليأس ، مما يزيد في طنبورهم نغمة ، فيخيل لي ان الموافق من الكتب احسن تسلية واحسن معزٍّ لنفوس هؤلاء وامثالهم

لو منيت لتمنيت

قال السر جون هرشل ، احد اساطين العلم : لو ضرعتُ اصلّي

— وكانت صلاتي عتيدة الاجابة — من اجل موهبة تكفيني مؤونة تقلبات الظروف وتبدُّلات الأحوال ، وتكون نبع سعادة وسرور لا ينضب ، وعدَّة لي أتقي بها سهام الأيام ، ودواء يشفيني من كل سقام ، لكانت تلك الموهبة محبة الكتب والرغبة في المطالعة . فمن خلق بهذا الميل ، وفطر على هذا الذوق ، وتسنى له ان يتبع ميله ويشبع ذوقهُ ، فمن الغريب ألاَّ يعيش سعيداً . دع المطالع يباحث أرباب الافكار الثاقبة ، ويتفهّم روايات المؤرّخين ، ويجاري الشعراء في خواطرهم ، دعهُ يعيش مع صفوة من عاش ومات ، ولم يزل عائشاً بأفكاره وأقواله — ثم سلهُ يخبرك انهُ من الكتب ابن كل عصر سالف ، وصديق لكل ذي عقل راجح ، وان العالم بماضيهِ وحاضره ، مشاهد يعاينها بعين النفس . وهل اعظم من هذا ؟

الكتب احياء

قال شاعرنا ملتن : الكتب ليست جماداً ، بل اجسام ذات حياةٍ هي حياة مؤلفيها والمذكورين فيها

والكتبة الكبار خالدو الذكر . أرواحهم في أقوالهم يتعرَّفها كل قارئ

لم يمت ميتٌ بآثار فكرهْ ... يرفع النفس فوق وادي الممات
ولمن مات بعد احياء ذكرهْ ... فهو باقٍ منهُ بقيد الحياة

المكاتب والحانات

يا لقومي ! ما اكثر الحاناتِ ... والقهاوى وما أقلّ المكاتب !
ما أذلّ الليراتِ للكاساتِ ! ... والنضار الرنّان يعهد غالبْ
كم نضارٍ في وعدة المسكراتِ ... أهلكوه وأصفرِ الوجه شاحبْ
ذهبٌ ذاهبٌ مع الذاهباتِ ... ذاهبٌ للفنا وليس بآئبْ
عادة حُكِّمتْ من العاداتِ ... هي أُمّ البلا وأُمّ المصائبْ
عادة كم تعود بالنائباتِ ... فلتمتْ وليقم لها خير نائبْ
أيهذا المشتت الليراتِ ... كارهاً جمعها كجمع العقاربْ
بنتُ حان يا بِئسها من فتاة ... وابن فكر نعم الفتى خير صاحبْ
تلك دعها واسلم من المهلكاتِ ... والكتابَ المفيد لازم وحابِبْ

الفصل التاسع

« المطالعة »

ملكٌ كان في الزمان القديم في بلاد الشرق القديم العظيمِ
كلما جنَّهُ الظلام أتتهُ مضغثات الأحلام بعد الهمومِ
فيرى نفسه حقيراً فقيراً يسأل الناس ما لهُ من رحيمِ
كلهم عابساً بطرف ازدراء يلتقيهِ ما بينهم من كريمِ

***

وفقيرٍ في ملكه عاش لكن مع عنا فقره بألف نعيمِ
كلما جنهُ الظلام أتتهُ مسعدات الأحلام في التهويمِ
فيرى نفسه مليكاً مهاباً يأمر الناس كالغشوم الظلوم
كلهم مطرقاً لديهِ اعتبارًا ووقاراً يلقاه بالتفخيمِ

***

انما المرء عائش بنهاه في نعيم من فكره او جحيمِ

أجل كثيراً ما يكون التصوُّر أشدّ من الحقيقة تأثيراً على النفس وما الكتب الاَّ مجموعات تتجلى فيها رسوم الحقائق على أنواعها . ولذّة القارىء انما تقوم بتفهم تلك الرسوم وتصوُّر حقائقها . فاذا قرأتَ وصف الرياض الغنآء ، والجبال الشمآء ، والجداول المنسابة ، وخمائل

الغابة ، وتكسر الأمواج على صخور المحيط ، فكأنك طائر على جناح الخيال تعاين بأم عينك تلك المناظر البديعة الرائقة

دعونى وكتابى

قال الشاعر فلتشر : —

دعوني وشأني فالجليس كتابي ... أنيس وفيهِ رفقتي وصحابي
كتابي فيهِ نخبة من ذوي الحجى الـ ... ـحقيقة تأتيهم بدون حجابِ
كتابيَ فيهِ للملوك مواقفٌ ... أخاطبهم فيها بكل خطابِ
ابجّلهم طوراً وطوراً أُهينهم ... اناقشهم بالفكر كل حسابِ
كتابيَ فيه كل ما النفس تشتهي ... وفي سفري ما عشت خير وطابِ
غنيٌّ بهِ عن كل ذيالك الغنى ... وما غير علمي في الحياة طلابي

وقال بلور ليتون : —

يؤلفه مؤلفه ويمضي ... ويمسي مثل تربتهِ ترابا
ولكن روحه في الطرس تبقى ... تكلمنا متى نقرا الكتابا
ترافقنا كما قد كان قبلاً ... ونبقى مثلما كنا صحابا

***

يقال الكتب خالدة وهذا ... مقال للحقيقة قد أصابا
فان الكتب مثل الناس تحيا ... وينتخب البقا منها انتخابا
فهذي كلها ورقٌ وحبرٌ ... ولم تحوِ المفيد المستطابا

وتلك بها تجسم كل معنى مفيدٍ كل من نادى أجابا

كتاب مكولى الى ابنة صغيرة

ماكولي كاتبنا التاريخي الانتقادي المعروف ، عاش من الحال على سعة ، ومن الجـاه على بسطة ، مستأثراً بشهرة طائرة ، وصيتٍ ضوّاع . وهو يعترف لنا في ترجمتهِ ، بأن سعادته وغناه كانا من فضلة الكتب

وكتب مرةً الى بنت صغيرة يجيبها على كتابٍ وصله منها فقال : انا ارتاح دائماً الى اسعاد البنات الصغيرات ، ولا شيءٌ يسرني اكثر من أن أرى بنيتي العزيزة مولعة بالكتب . لأنها عندما تصير طاعنة في السن مثلي اليوم ، لا تعود تهمها المأكولات والحلويات ، فتجد في القراءة احسن سلوة ، واسرَّ لعبة ، وأبهج منظر . وانا يا بنيتي لو قدّموا لي ان أصير ملكاً بتاج على رأسي ، وقصر فخيم اسكن فيهِ ، ومآكل ومشارب فاخرة ، وملابس مزخرفة ، وجنـائن ، وعربات وخيول ، ومئات من الخدم — لكن بدون كتب أقرأُهـا — فاني ارفض ان اكون ملكاً . لأني أُفضل المسكين الساكن في كوخ صغير يقرأ ما لديهِ من الكتب ، على الملك الذي لا يحب المطالعة

كيف نقرأ

كم من كتاب نضرب بهِ عرض الحائط ، ونذكر صاحبه

باللعنات ، حين لو أنصفنا لكنا له من الشاكرين الحامدين

(وكم من عائب قولاً صحيحاً وآفته من الفهم السقيم)

فلكيما تأتي بك المطالعة الى الغرض المقصود ، يجب ان تكون سبراً لغور المعاني المرادة بالعبارات كعبارات ، وبالقطع كقطع

والقراءة السطحية قلما تفيد ان لم نقل انها تضر . ووجه الضرر انها توهم القارئ انهُ قد علم اكثر مما علم حقيقةً . فعلى القارئ ان يتبين تمام المقصود بكل كلمة ، ويدرك الغاية المرميّ اليها بكل جملة ، وعليهِ ان يتشرَّب روح الكاتب ، ويقرأ خلال سطوره ، بحيث يتصوّر لنفسه الموصوفات او الموصوفين او موضوع الكلام كائناً ما يكون تصوّراً جليًّا لا غبار عليهِ

الكتب والاختبار

يفيد الدرس في سنة واحدة قدر ما تفيد التجارب وتكسب الاختبارات في عشرين . هذا فضلاً عما في اقتناء الحكمة على كيس الغير من السلامة والاقتصاد من ذات النفس . ويا لحياة ذلك النوتيّ ، الذي لم يأخذ اصول سلك البحار الاَّ عن الانواء والزوابع ، من حياة صعبة ! وتَعِس هو ذلك التاجر الذي يتلقَّن اصول مسك الدفاتر على يد الخسارات الفادحة والتفليسات المتوالية ! وبكامة ما أغلى الحكمة اذا اشتريت من سوق التجارب والمصائب

فلله نعمة المطالعة التي تمكنك من معرفة كل حركة وما يعقبها من السكون . وكل سكون وما وراءه من الحركة ، فتكون على بصيرة من حركاتك وسكناتك

ولا أتمالك هنا من التصريح بأن مراجعة تراجم الكبار ، وسِيَرِ من امتازوا او تفرّدوا بصفةٍ من الصفات ، او ضرب من ضروب الحياة ، هي خير ما يقرأ الاحداث اذا طلبوا استزادة العلم والاختبار ولماذا لا يطلبون ؟ ومن هذا القبيل الروايات القليلة المؤلفة بقصد نبيل ، المضروب فيها على وتر او اكثر من اوتار النفس ، فانها من جملة ما تجمل مطالعته وتفيد

انتقاء الكتب

اختيار الكتب واستجابها ، كاستصفاء الخلان واستخلاصهم ، أمرٌ هام خطير . ونحن مسؤلون عما نقرأ مثلنا عما نفعل . والكتاب النفيس ، بعبارة ملتن البليغة ، هو دم الحياة الثمين ، المتقطّر من روحٍ كبيرة ، محنطاً ومحفوظاً ، لحياة بعد الحياة

ولكيما نفوز بالنصيب الأوفر من منافع المطالعة ومسراتها ، يجب علينا ان نأخذ الكتاب ، مقرّين النية على ان لا نفرغ منهُ ، ونحن كما كنا قبل السماع بهِ . او بكلمة اخرى ، لنطالع بقصد الاستفادة ، لا بقصد التسلية . ولا يفهمنّ من هذا انهُ لا يجوز قطعياً ترويح النفس

بقراءة الكتب الرقيقة العبارة ، القريبة المرامي ، الفكاهية بالاكثر ، فان لهذه قيمة ذاتية لا تنكر . انما لنذكر ان المطالعة شيء ، ومجرّد القراءة وتقليب الصفحات شيء آخر

واذا أردنا التشبيه ، قلنا ان الكتب السهلة المسلية تلزمنا قراءتها بقدر ما يلزم السكر والحلويات بمقابلة اصناف الطعام الضرورية للتغذية . ولا ننكر ان بعض الروايات فائق جليل ، ولكن لسوء الحظ نرى العامة لا تميز بين طيب الروايات وخبيثها ، وكثيراً ما تُقبل على السخيف الساقط منها ، وتروّج بضاعته

الكتب كالناس . بل كل كتاب كمؤلفه غالباً . فمنها الصالح ومنها الطالح . وكما ان عالي الجانب عزيز النفس يعرف من شخص خسةً ودناءة ، فيرفسهُ برجل الاحتقار ولا يعود يحسب له حساباً ، فكذلك صنو المطالعة الأديب ، انهُ يصطفي الكتب المناسبة اصطفاء ولا يزيد لها الاّ وفاء وولاء ، وهي تزيده نفعاً وهناء

الفصل العاشر

« الوطنية »

كلمة من المعرّب الى المؤلف

سيدي ، حبذا لو صحَّ لي ان أعرّب فصلك هذا ، وأكون قد أفدتُ ابناء لغتي ، بني دولتنا الحديثة الدستور ، ويا ما أعظم دلالة هذه الحداثة

فانك كاتباً عن انكلترا ، والى ابناء انكلترا ، تفتخر ويحقُّ لك الافتخار ، وتتمنى القليل ، وقليل ما بقي لوطني كبير مثلكَ في حيز التمني . . . أما أنا ، فيعلم الله ان هذه الأغنية التي وقعها القريض على أوتار نفسي ، او وقعتها نفسي على أوتار القريض ، والشعر شعور ، والشعور شعر ، يعلم الله ان هذه النونية من الحزن ، والشجن والأنين أقلُّ ما يحلّ محل مقالتكَ الرنانة . فان كانت لتقع في نفس غيري الوقع الذي لها في نفسي فهذا سؤل سؤلي ، والاَّ فحسبي اجابتي لوجداني جزاء لفعلي

أطربيني يا نغمة الكروانِ بشجيٍّ يهيج بي أشجاني
أطربيني بكلّ لحن مذيب منكِ حلّى مرارة الأحزانِ
أسمعيني ذاكَ النحيب لعلي أتعزّى في محزنٍ أبكاني

***

أنا ممـا بهِ زماني دهاني ودها الغير مثلمـا قد دهاني
لا أُطيق الهزار في الافنانِ يتغنى بمطرب الالحانِ
يا حنيني لنغمة الكروانِ فهي أولى بمهجتي وجنـاني

***

يا خليليَّ حدّثا حدّثاني بشؤون الأهلين والأوطانِ
حدّثاني بسورة النشوانِ بحميّا طوارق الحدثانِ
أسمِعـاني بالقلب او باللسانِ يا خليليَّ ! اي ، والاَّ اسمَعاني

***

كان ما كان في قديم الزمانِ فليكن ما يكون طبق الأماني
لستُ أنسى ما كان طوعاً ولكن هو أولى ما كان بالنسيانِ
وبصدري آمال حدث محبّ لبـلادٍ صابٍ الى السكانِ
مثل كل الآمال محض محـال تتراءى بعيـدة الإمكانِ
غير اني نفسي بهـا تتغنى وعساهـا تبيتُ غير أغانٍ

***

إنَّ منها التهذيب في كل صقع لنفوس البنـات والصبيانِ
ليجلّي من بيننا فتيـات في ميـادينها مع الفتيـانِ

***

إن منها ان نعرف المال ملكاً عالي القدر بل خطير الشانِ

حين تمسي بضاعة الدكان من نتاج الفلاَّح والفدَّانِ
ان منها ومن يقيد بناني ويراعي عن رسم معنى المعاني
ان منها حرية الانسان وارتفاع العدالة الميزانِ
ان منها ، ولتنء عني القوافي ذكر أمر مهما نأى فهو دانِ
ان منها تعاضد الاديانِ في بلاد الأديان من أزمانِ
ليعيش الاسلام بين النصارى بين شعب اليهود كالاخوانِ
ليعيش الجميع والكلّ عون لسواه من أصدق الأعوانِ

* * *

رب يا من قد قلت كوني فكانت حسبما قلتَ كل تي الاكوانِ
ربّ حقق هذه الأماني قريباً او بعيداً وما هما سيَّانِ
ربّ اني تكاد تقنط نفسي فأذقها الرجا بفرط الحنانِ
ربّ إنّا من أجل دينكَ نلقى غير ذاك الموعود بالايمانِ
ربّيَ اهدِ الجميع خير صراطٍ لفسيح الجنان اي جنانِ
انهم نحوه يتوقون نفساً توق تلك الخرفان في القطعانِ
ربّ أهلك من بيننا كل ذئبٍ متردّدٍ وداعة الحملانِ
ولتسقنا عصاة خوفك سوقاً لمراعي الهنا بكلّ أمانِ

تنبيه — لمثل الاسباب المارة التزم المعرّب ان يحرم المطالع العربى من فصل الرعوية Citizenship أيضاً

الفصل الحادى عشر

« الحياة الاجتماعية »

نفتخر ، ويحق لنا الافتخار ، بأن مسكن كل انكليزي قصرهُ الفخيم وحصنه الحريز ، بمعنى انهُ محميٌّ مذود عنه ، بفضل نظاماتنا العادلة ، وتنفيذها المحكم

انما ليكن مسكن كل انكليزي بيته ومقر سعادته وسعادة ذويه

كيف يصير المسكن بيتاً

بالمحبة المتبادلة ، والثقة المتبادلة ، والمعاونة المتبادلة ، بين أهله . وتذكارات الطفولية التي ترقق قلب الوالدين وتزيد رأفتهم ولهفتهم على أولادهم ، وآمال الشباب واكرام الاخوات وتناصر الاخوة وتكاتفهم ومشاركة الاحساس في السراء والضراء — هـذه توجد السعادة البيتية ، وتقدس البيت

المحبة الاهلية

والمسكن الذي هجرته ملائكة المحبة ، قد يكون قصراً فخماً ولكنهُ لا يكون بيتاً . فالمحبة هي صفةُ البيت اللازمة . والبيت بدون محبة كالجسم بدون روح . فلا بالمال الطائل ، ولا بالجـاه الواسع ،

ولا بالطَّول ولا بالحول ، ولا بالعلم ولا الفلسفة — كلا بلا شيء غير المحبة تقوم سعادة البيت . ولا غلو ولا مبالغة ان قلنا ان الفقر والمحبة معاً سعادة ، والغنى والتباغض شقاء — أو ان المسكنة والمحبة معاً سعادة والإمرة والتنافر بلاء — وان الجهل والبساطة مع المحبة سعادة ، والفلسفة والجدال والشقاق معاً ، عيش مكدّر لا صفاء له

البيت ملجأ

البيت ملجأ لنا ، نحن الانكليز ، لا من سطوة الغزاة ، فاننا والحمد لله في مأمن من هجمات الاعداء ، بل من أرياح الغدر ، والفتن ، والطمع ، ومن آفات اللؤم والرداءة التي ، تهب وتسعى ، في كل مجتمع انساني . والأجدر بنا ان نسميه مقيلاً نشعر تحت سقفه بالراحة وخلو البال . ولكن اذا كان غير المحبة العاطفة السائدة بين جدرانه ، فكأننا بالتجائنا اليه :

« كالمستجير من الرمضاء بالنار »

الانفراد والاجتماع

الانسان لا يولد ليعيش وحده . وجنة عدنٍ بكل ما فيها ، لم تُرض آدم ولا عشير له ! وقال الكاتب الرقيق ، شاعر الطبيعة والفضيلة [1] ليت شعري ! وما هي حالة نفس وحيدة حتى في السماء

(١) Bernerdin de St. Pièrre

نفسها ؟ فالبشر مقصودون للاجتماع وللانفراد ، لا لهذا وحـده ولا لذاك وحده

ومن اعتزل الناس بأسرهم وخلا بالطبيعة وخلت الطبيعة بهِ ، فمرّ بهِ نسيمها ، ورقصت له اغصانها وغرّدت اطيارها ، واشرقت شمسها ، وكان قلبه قلقاً أو نفسه مضطربة ، فأي راحة أم أي سعادة في عزلته

مدرسة البيت

في العـائلة تقوّم الاخلاق ، وتهذب الشعائر ، وتتعلم المحبة والاخلاص والاعتبار

لا بيت حقير من حيث السعادة

ربما كان بيتك حقير البناء ، غير مزين بالرياش ، أو غير جميل المركز . انما اعلم انهُ اينما كان ، ومهما كان فهو محل اقامتك وهناك تكون واجباتك . وكلما كثرت المصائب فبقدر مقاومتك لها في سبيل اسعاد ذويك وأهل بيتك ، يكون فضلك وثوابك . واعلم ان من يضطر في معاملة اهله وذويه الى استنفاد الصبر ، والعدول عن العدل ، فهو اشقى وانكد عيشاً من ذلك الذي يكابد في كل يوم مشقات الأعمـال والأشغال ويروح ويغدو لا على الربح بل على الخسارة جزاء تعبه نهاراً وليلاً

ليست الاعمال بالنيات دائماً

والذين ينوون اتعاس الغير ، ويريدون الايقاع بهم ، ما هم الاَّ النزر اليسير من الناس . ويغلب ان يكون الشقاء ناجماً عن قلة الحكمة وفساد الذوق ، لا عن فساد القلب وسوء النية

فاعتد ان تلاقي مَن تلاقي بوجه مشرق ، وكلام لين ، وترحاب لائق . فانهُ لا يكفي ان نحب من هو عزيز لدينا فقط . بل كثيراً ما بمجرد قلة اكتراثنا أو كثرة جهلنا ، نجرح حتى القلوب التي تحبنا ونحبها ونكسرها ، وكسر القلوب مثل كسر الزجاجة لا يُجبر

قال اللورد شسترفيلد : طالما فكرت في الامور التي يحتاج الناس الى معرفتها تمام المعرفة ؛ واهمها جميعاً أمران – أمر المحبة وأمر البغض. فان معظمنا لا يعرف مَن يحب أو مَن يبغض وكم ، وكيف ، وأين ، ومتى يجب عليهِ ان يفعل ذلك

معرفة مَن نعاشر

أوَليست شخصية كل انسان كأنها سجينة في حبس اللحم والعظم ، وهذا الجلد الخارجيُّ ستار وحجاب ، والفم الباب الذي تُطلُّ منه النفس وتخاطب نفساً أُخرى ؟ فعندي ان هذا الباب يجب ان يبقى مفتوحاً ، وهو مخرج حواس القلب ، ومصدر افكار الرأس ، الى ان يتم التفاهم والتعارف بين الاصدقاء والاقرباء . وانهُ لإهمالٌ وخيم

العواقب ان يبقى المرء جاهلاً لاذواق أصحابه او أهله ، غير عارف بما هم عليهِ من العادات والمشارب . اذ ان كثيراً من التنافر والتضاغن يكون منشأه سوء التفاهم لا غير

وقليل من يعتقد ان فن الكلام فن عظيم الشأن ، ولكنهُ هو ذاك ، قلَّ المعتقدون أم كثروا . ولا غرو ان اتحاد العائلة وائتلاف اعضائها يقتضيان آداب المعاشرة ، وبراعة المخاطبة ، كما يقتضيان المحبة وصفاء النية كما مرَّ . لأن

(لسان الفتى نصف ونصف فؤاده
ولم يبقَ الاَّ صورة اللحم والدَّم)

العتاب والتعنيف

اذا عاتبت ، وبالأحرى اذا عذلت ولمت فسِرًّا وعلى حدة . واذا شكرت او مدحت فعلانيةً وعلى رؤوس الاشهاد . وفي كل حال اذا اردت ان تخطِّئ وتعنِّف فليكن ذلك بجدٍّ مع اظهار الاسف لما جرى ، ولكن تأجيل اتخاذ هذه الخطوة ريثما يحيط علمك واستعلامك بموضوع التخطئة والتثريب ، أجدر بك وأولى لك . لان جرح الاحساسات يؤلم المجروح والجارح

ولنذكر ان الموت منتظر الجميع . فربما كانت وقفة التوبيخ والتأنيب آخر وقفة للاثنين ، وما اغنى الراحل عن ترك البغض في

قاب مَن يفارق ! وهو معلوم ان بعض الكلام أشبهُ باشعة الشمس البهجة ، و بعضه كنصال السهام الجارحة . وليس بضربة لازب ان تفيض بالكلام في كل مكان وزمان ، ولكن اذا تكلمت فبما يبهج ويسرّ . وأي فضيلة في تكدير صفاء الغير

وكما ان كلمة لطيفة قد تكون ينبوع جذل وفرح لسامعها ، فكذلك لمحة عين مشرقة بابتسامة قلب يبرق في انسانها قد تنور ظلمات من تقع عليهِ ، وتبدّد دياجير همه وغمه . وما احسن البشاشة والطلاقة ، ولين العريكة ، ودعة الجانب ! انها لمن اسمى الفضائل . وأي خير أم أي جمال في تقطيب الجبين ، وعبوسة الوجـه ، والتمسك باذيال الحذر ، وجر ذيول التكبر !

صاح كن رقيقاً ، قريباً من القلوب ، واجبر الكسير منها بهذه المظاهر ، ولو تكلفاً . فالناس تؤثر فيهم النظرة والكلمة مثل كل مؤثر

انتقاء العشراء والاصدقاء

المرء برفقائه وعشرائه

(عن المرء لاتسأل وسل عن قرينه فكل قرين بالمقارن يقتدي)

ويقول المثل الاسباني : قل لي من تساكن أقل لك من انت

ان سعد الحيـاةِ بالأصدقاء وهي من دونهم زمان شقاء
فانتخبهم من صفوة الفضلاء وأولي الصدق في الولا والوفاء

ان هذي نصيحتي الثانوية

***

واذا تمَّ عقـد أهل الولاء فارعَ عهد الولا وعهد الإخاء
واخلعنَّ الريا فثوب الرياء شفَّ عما في الصدر من أهواء
واترك العدل واعتصم بالرضاء في دعاوي الاصحاب عند القضاء
والغ لغواً عوامل البغضاء تاركاً فعلها لأهل الخنـاء
وتصبَّر اذا ابتليتَ بداء من هواهم فالصبر خير دواء
واجبهم حالاً لكلّ نداء لا تخيّب لنفسهم من رجاء
صفِّ منكَ النيات كل صفاء بعـد حسن اختيارهم وانتقاء

ان هذه نصائحي الأولية

انهم عـدَّة لدفع البـلاء شركاء السرَّاء والضرَّاء
ان فيهم تضعيف كل هنـاء ان فيهم تخفيف كل شقاء

عيشة الأصدقاء حقاً هنية

الزواج

أهمّ وأخطر خطوة تتخذها في طريق هذه الحياة الدنيا — وما الدنيا بدار اقامة ، ان هي الاَّ طريق مسلوك — هي الخطوة الأولى نحو الزواج . وأعظم بركة تحل على الانسان امرأة فاضلة ، وأعظم لعنة تسقط على بيتهِ امراة ناقصة

واذا كان تقديم النصائح بهذا الشأن غير السهل اليسير ، فلا أقلّ من عرض الخواطر الآتية :

الزواج الباكر ، ككل فاكهة في غير أوانها ، مرّ المذاق سيء العواقب

لا تتزوج اغتراراً بالباثنة (الدوته) ، فقليلة هي بركة مال يجتمع في يدك في ساعة واحدة . كلا ، ولا تتزوج ، وانت صفر اليدين معوزٌ تكاد لا تسد حاجات نفسك ، اذ كيف بك ، وقد أضفت الى نفسك نفساً . ومَن اشترى عروسه بفلوسه ، او باع نفسه بفلوس عروسه ، فلا يلبث ان يصفق صفقة المغبون

ولا تتصور ان الحياة الزوجية كلها شهور عسل . بل اعلم ان دون عسل ذلك الشهر الأول ، إبَرَ نحل الجدِّ والاجتهاد ، و بعده تصير السعادة كل السعادة بخدمة العيال ، والراحة كل الراحة بالتعب في القيام بأوَدهم ، وتقديم لوازمهم وسد حاجاتهم

قال هوميرسس ، الشاعر اليوناني : اذا اتخذتها امرأة لك ، فكن لها أباً وأُماً وأخاً . لأن التي تترك أباها وأُمها واخوتها وتتبعك ، لحقّ لها ان ترى فيك رأفة الأب ، وحنو الأُم ، ورفق الأخ

ولا يغرّنك الجمال وحده (ولا تَبتْ اسير طرف الكحل) فعقد الزواج لا يتم باليد والعين ، بل بالعقل والقلب . والحياة الزوجية اما هناء او شقاء ، أي كما تريد انت وتختار

واذا كان الزواج سعيداً ، فبأي العبارات نوفيه حقهُ من الوصف ! الأب والأُم والبنون – ان صلوا فمعاً يصلون ، او عبدوا فمعاً يعبدون ، او صاموا فمعاً يصومون ، او حزنوا فمعاً يحزنون ، او فرحوا فمعاً يفرحون

والاولاد اذا انوجدوا في البيت ، فانهم يطفحون كاس سعادة الزوجين . على انهُ يتعقب ولادتهم ، ولا تعقب يعقوب لعيسو ، ولادة الواجبات نحوهم . فان الوالدين مسؤولون امام الله والانسانية عن تربية بنيهم ، واعدادهم للحياة . والاَّ فبأي حق يخرجون النفوس الى حيز الوجود . ولينمُ الولد على حرارة المحبة ، وفي هواء الطهارة ، حتى لا يقرسهُ فيما بعد ، برد الحياة ولا يميته فسادها

الفصل الثانى عشر

« الشغل والاجتهاد »

ولا تفرط ولا تسرف في شيء على الاطلاق ولكن فوق كل اقتصاد ليكن اقتصادك من الوقت الثمين العزيز الوجود . فيومك يأتيك مرة واحدة لا غير ، واذا مرّ مرة فلا يمر ثانية

اذا مرَّ يوم فالسلام عليه تتوق ولكن لا سبيل اليه
فيومك فافعل كل ما تستحبهُ ويحسن فعلاً يا ابن آدم فيه

ولا تصرف الوقت في ما تندم عليه بعد حين . اذ لا أمرّ في الفم من أنامل الندم ، وتكرار ليتني فعلت ! ليتني لم أفعل ! والوقت وديعة أو أمانة تسلّمها ، فاحرص عليه ، لانك سوف تحاسَب على كل دقيقة تفرط منهُ

حياتك لك

(وانما رجل الدنيا وواحدها مَن لايعوّل في الدنيا على رجل)

وقال اللورد ملبورن : لا يجوز ان نُسمع الاحداث الاَّ هذه اللهجة — هذي هي الحياة ، ولكم الخيار بين ان تحصّلوا فيها قوتكم بعرق جبينكم و بين ان تموتوا جوعاً

من فضائل الشغل

ان المنصبّ على شغله ، يأمن التورط في أوحال البذاءة والرذيلة والخطيئة . فاملأ وقتك بالاعمال الصعبة المفيدة ، لان آفات الشر تختلس فُرص الخلو والتواني ، وتزحف فتجرب المعطل ، وتخرجه من عدنه ، اذا كان من حالته في نعيم

الوقت والارض

قيل الوقت بداءة الأبدية ، والارض موصولة بالسماء . فمن نمط حالتنا في هذه العاجلة تكون حالتنا في تلك الآجلة

ضياع الوقت

يروى ان بياترو دي مديسي ، كلف النحّات الشهير ميشال انجلو ان يصنع له تمثالاً من الثلج ، ففعل . فلا مشاحة ان الوقت الثمين الذي استعمله صانع تلك التماثيل الجميلة الخالدة في صنع ذلك التمثال الثلجي ذهب ضياعاً . فلنعتبر بهذا ، ذاكرين ان وقت كل واحد منا ثمين له عزيز لديه ، فلا نصرف ساعة في ما لا طائل تحته ولا يجدي نفعاً ، فنكون قد اضعناها

نقول برأي ونعمل بغيره

قال الفيلسوف سينكا : اني لأعجب من اننا لا نفتأ نتذمّر ونتأفف من قصر الوقت وضيقه ، ولو درينا لانعكفنا على العمل ،

وقتنا بالواجب . لأننا مع شدّة تذمرنا وتأففنا ابداً نقتل ايامنا المعدودة ونجازف بساعاتها كأننا لا نتوقع للعمر انتهاء

سر النجاح

عندي ان من اعظم اسرار النجاح ، ان لم يكن أعظمها ، المقدرة على مواصلة السعي والكدّ ، وحثّ مطايا الاجتهاد . واني مقلداً عبارة شيشرون أقول : ان أوّل دواعي الفلاح المثابرة ، وثانيها المثابرة ، وثالثها المثابرة

ما الذى يقصر العمر

الشغل؟ العمل؟ الاجتهاد ؟ لا لعمري ! بل الهمّ والغم والهواجس التي يطردها وينفيها الشغل ، هي التي تنهك الجسم وتميت أعضاءه ومن جملتها الدماغ . لأن الاعضاء مخلوقة للاستعمال ، لا للاهمال ، والاستعمال احياء ، والاهمال اماتة لها . فكيف باهمالها وتثقيلها بصداء الهموم ؟

قال رُسكن : أنجع دواء تصفهُ لنحيلة الجسم سقيمته ، من جراء الشواغل والأحزان الساكنة المتحركة في صدرها ، قلت احسن علاج تصفهُ لها ، ان اشتغلي من صباحكِ الى مساكِ ، فلا يخيم على الارض الظلام ، الاَّ وأنتِ من التعب الجسدي او الشغل العقلي ، في راحة قلب ونفس وسلام

الاقوال والافعال

الكلمات بنات الأرض ، والافعال ابناء السماء . فمهما وجدَتهُ يدكَ لتفعله فافعلهُ بكل قوَّتك . واذا وجدت عملاً فاقبل عليهِ بكل ما عندكَ من الرغبة والنشاط

أى اصعب ؟

الشغل الشاق ، ام الذلّ ؟

(ان الحيـاة بذلةٍ كجهنم وجهنمٌ بالعزّ أفضل منزل
لا تسقني كاس الحيـاة بذلة بل فاسقني بالعزّ كأس الحنظل)

مَن أشرف وأعلى مقاماً في الهيئة الاجتماعيـة العادلة ، أذلك الفلاح الواقف النهار بطوله على محراثهِ في وحشة الحقول ، ام ذلك اللابس لبس السيد بقبعته وخيزرانتـه الجديدتين ، الذي لا يُرى الاَّ جاثياً على ركب التسوّل والاحتيال

الاجتهاد يغلب الفقر

تكلم كويت عن كتابهِ المعروف في صرف اللغـة الانكليزية ونحوها وبيانها ، فقال ما بهِ عبرة لكل صاحب أمل تُوهمهُ الفاقة ، ورقة الحال : « تعلمتُ مبادىء القراءة ومبادىء الصرف بنفقة ستة بنسات يومياً ، وكنتُ اذ ذاك جنديًا . غرفة النوم كانت لي غرفة درس . جرابي العسكري كان محمل كتبي ، وقطعةٌ من الخشب منضدتي

ومدة تلمذتي لم تتجاوز السنة طولاً . كنتُ ضيق ذات اليد ، لدرجة ان ما كنتُ أشتري لي شمعة ولا زيتاً ، وكل ما تيسر لي من النور اثنـاء ليالي الشتاء الطوال كان ما اغتنمتهُ من دوري للاقتراب من النار . والقليل من دريهماتي الذي كنتُ استبدله بحاجتي من الورق والحبر كان عليَّ كثيراً . وانني لا ازال اشعر بقشعريرة لذكرى ليلة ما كان اطولها وأثقلها على نفسي : غابت الشمس وشاهدتُ غروبها الجميل ، وكنتُ قد قضيتُ سحابة نهـاري بالدرس والاستفادة ، ودخلتُ غرفتي منتعش الفؤاد ويدي في جيبي تلمس بلطف نصف بني فاض عن مصروفي اليومي

وبتُّ معللاً النفس بشراء سمكة أتبلغها في الصباح . ونمتُ على ذلك الأمل ، ولعظم فرحي لم استغرق في النوم كعـادتي بل ما ازف الهزيع الثاني من الليل حتى رأيتني اجول في الغرفة ، مبهوتاً حائراً ، ادور ، وأروح وأجيء ، وأفتش ، وأخبط في ظلمة غرفتي تحت جناح ظلمة ليلتي خبط عشواء ، رجاء ان ألمس ثانيـةً تلك القطعة الزهيدة القيمة ولكن خاب الرجاء . وبعد ان أعياني التفتيش توسدتُ اليأس والتحفتُ بالشقاء ، ورقدتُ على آلم من شوك القتاد ، بائساً قانطاً من الحياة

فاذا كنتُ في تلك الاحوال قدرتُ ان أتعلم ما تعلمتُ ، مما اهَّلني لتأليف هذا الكتاب ، فأي عذرٍ بعد ، لأيّ من الاحداثِ

أن لا يستطيع شيئاً ؟

كويت لم يكن ذا مال ، ولكنهُ كان ذا حزم وعزم وكفى بهما المرء غنىً ومقدرة في هذه الدنيا

يقول بايكن : اكثر الناس لا يعرفون قيمة اموالهم ولا قدر مقدرتهم ، فيغترون بالأموال ، ويحسبونها تأتي بكل مرام وتدني من كل غاية ، ويحتقرون مقدرتهم الذاتية ولا يحسبون لها حساباً . على ان الاعتماد على النفس ، والرمي بها في كل مأزق ، وتعريضها للمصائب لما يزيدها قوة وعزّة وقلّ سعادة . ومن الامثال الشرقية : كلب يعمل ، خير من اسد يكسل

خطاب الطبيعة للانسان

تكلم امرسن بلسان الطبيعة قال : اشتغل ايها الانسان . في كل حين اشتغل . سواء مأجوراً ، ام غير مأجور ، اشتغل . كل ما عليك ان تشتغل ، وجزاؤك لن يضيع . اشتغل مهما كان نوع الشغل دقيًا او غير دقيّ ، كأن يكون حرث الحقول او نظم الاشعار . وليكن شغلك بأمانة ، ولن تُعدم اجرك . ومهما فشلت فلا تيأس ولا تجبن انك للفوز خلقتَ ، وتفوز . وأقلّ جزاء لعمل تنجزه كونك أنجزتهُ

عود على بدء

رأس الكسلان معمل الشيطان . أخبرنا رواثينا الكبير سكوت

انهُ كان يطرد شيطانهُ ، ويستعيذ من أبالستهِ ، بالشغل لا بغيره . وان لكل امرىء شيطاناً يوسوس له بالشر ، فلكيما ينجو من حبائله عليه ان يعتصم بحبائل الجَلَد على الشغل . والكسل غير الراحة . بل الكسل أتعب من العمل . والرومانيون كانوا يقولون : صعب ان تستريح اذا كنت لم تتعب بعمل شيء

الاجهاد والاجتهاد

الطبيعة تقول : الارتقاء لا يكون طفرة ، بل خطوة خطوة

وعلى المجتهد ان يقف عند حد الاجتهاد ، لئلا يستهدف لمهالك الاجهاد . وخير الأعمال ما يتم بالثبات والتأني ، وعاقبة العجلة الندامة — الندامة اما من اجل عدم صلاح العمل او من جراء الاضرار الصحية التي قد تلحق المجهد نفسه في انجاز اعماله . وقد يجتمع الندمان

فاشتغل اذاً ، لكن على مهل ، وباعتناء ، وبدون اضطراب بال ، او هيجان بلبال

اكرر وأعيد

انهض باكراً . اسمح لعضلاتك بنصيبها من الرياضة والراحة . اعتدل في طعامك . أعطِ الجسم حقه من النوم . استقبل الأعمال برضى . اشتغل ! اشتغل . القلق ، والاضطراب ، والتهيج ، والتسرّع ، والحدة ، لا تغنيك عن الشغل فتيلاً ، بل ربما عادت عليك بالوبال ،

وكائناً شغلك ما يكون ، اتقنه كل اتقان ، ولا تذخر شيئاً في الامكان . فالقائد ولنكتن لولا هذه الخلة التي كان عليها ، ما نال ما نال من اكاليل الفوز . فانهُ كان حريصاً على كل دقيقة من وقتهِ ، يتفقد فيها احوال جنوده من مأكل ومشرب وملبس . والإقدام أجره مقدور . فكولمبس طلب الموت في سبيل اكتشاف طريق غريبة الى الهند وكان جزاء اقدامه اكتشاف اميركا

الضجر من الشغل

لا تنظر الى شغلك بعين السآمة والكراهة . فانك ، ان اردت ، قادر ان تجعله سهلاً لاذًّا . اعرفهُ جيداً ، وتبين مواقع الخلل من نفسك وسدَّها ، ثم أقبل عليهِ بكل رغبة ونشاط تجده كما تريد

واعلم انك كلما ضجرت وتبرمت من حالتك زدتها صعوبة ومشقة ، وحياتك مرارة

ثلاثة اشياء

السعادة بثلاثة اشياء — شيء تعمله ، وشيء تحبهُ ، وشيء تأمله

وخلاصة القول اشتغل . ولكن لا تقاوم الطبيعة ، ولا تجذّف ضد المجرى ، اذا كان يمكنك ان تسالم الطبيعة ، وان تجري مع المجرى — والاَّ فافعل

(اذا لم يكن الاَّ الاسنَّة مركب فما حيلة المضطر الاَّ ركوبها)

الفصل الثالث عشر

« الايمان بالله »

يقال انهُ من بين ١٠،٥٠٠،٠٠٠،٠٠٠ نفس في العالم ، اربعة مئة مليون بوذيون ، وثلاثماية وخمسون مليون مسيحيون ، ومئتامليون هنود ، ومئة وخمسون مليون مسلمون . ولا عجب من هذا الاختلاف والتباين . لانه ان كانت الارض التي تحت عيوننا لا يعرفها الكل تماماً ، بل لهم فيها الأراء المتباينة والافكار المتعددة المتضاربة ، فكم يسوغ وجود الاختلاف والتباين والتضارب في المذاهب والمعتقدات ، مما خص العالم الثاني غير المنظور

الله فى كونه

يقولون أين الله أين عجائبه ... وذا الكون سفر واضح وهو كاتبه
يشكون والايمان ملء قلوبهم ... ويبدون ما في صدرهم ما يكاذبه
فأي امرء في الجو يرسل طرفهُ ... اذا ما بدت أقماره وكواكبه
وليس يقول الله في عرش مجده ... وهذي حواشيه وهذي مواكبه
وأي امرء ما سبح الله مرةً ... اذا راقب الازهار وهي تراقبه
عجائب ربي في الأنام عظيمة ... ولكن جهل المرء لا غير غالبه

***

نعم ان الشك بداءة اليقين ، وهو اساس الفلسفة التي ليست الأَ سؤالَ لماذا ؟ ولكننا نعيش في عالم اسرار ، وبين اكوان قيل فيها

(كوائن ليس يدري الكنه منها سوى من امره كافٍ ونون)

ولئن كنا نعجز عن فهم ابسط الازهـار تركيباً فهماً تاماً فما بالنا نحاول فهم الأزلي الأبدي غير المحدود

او ليس كل انسان يشعر بوجود العزة الالهية . فحسبنا هـذا الشعور . ولننزه ذاته المقدسة عن محاولة التعليل عنها ، طالما نحن نقرُّ ونعترف بقصورنا عن معرفة اسباب كل مسبب

وهذا نقوله لا لنثبّط همم الباحثين المنقبين وروّاد الحقيقة — على ان معظمهم من شديدي الثقة والايمان — ولكن رداً لتيار اولئك المدّعين المعتدّين بالعلم والمعرفة ، الذين يغلب ان يبطنوا خلاف ما يظهرون ، بدليل سلوكهم وتصرفهم

الايمان بدون اعمال لا يجدي . وسلدن يشبّه الايمان والاعمال بالنور والنار ويقول : اتصور النور والنار كشيئين مختلفين مستقلين الواحد عن الآخر — ولكن اطفىء الشمعة فلا نور ولا نار

وزبدة الكلام ، اننا كبشر ، يلزمنا ان نقنع بالقليل من المعرفة بالنظر الى ما لدينا من المجهولات والمكتومات من الاسرار الالهية والطبيعية

الفصل الرابع عشر

« الأمل والرجاء »

يتعجب الناس لذكر الرجاء بين الفضائل الانسانية ، ولكن تعجبهم لا ينفي كونه من اسماهنَّ واعظمهنَّ . واليأس غير محمود . بل انهُ خطيئة . وإن لم يكن خطيئة بحد ذاته ، فما يؤول اليهِ في الغالب كالكفر ، وبغض الناس ، وكره الدنيا لدرجة الانتحار ، تخلصاً من الحياة ، من افظع الخطايا . واذا كان اليأس كذلك ، فلم يبقَ الاَّ ان نحسب الرجاء فضيلة وصلاحاً ، لأن الشيء بنتائجه . ولا يخفى ان الاحتمال والمجاهدة ، وثبات الجأش ، وصدق العزيمة ، وامثالها تنطوي على رجاء وأمل — وهذه الخلال من أشرف ما يفتخر بهِ الانسان

تحاشى الخيبة

الاستسلام للمصاعب بدون مقاومة خيبة وفشل شائنان . اما الاندحار من وجهها ، بعد افراغ الجهد وبذل ما في الطاقة ، فلا شين فيه . فاذا اعترضتك العقبات في الطريق ، فلا تقف دونهـا وَجِلاً خائفاً ، متردداً حائراً ، بل شدَّ اوتار النفس وتحفَّز للوثوب من فوقها ، غير هيَّاب ولا وَكِل

وانهُ لمن الغريب ، ان يتخوّف المرء من اخطار وهمية ويلقي بنفسه في اخطار حقيقية ، كأن يجبن ويحجم عن النطق بالحق مخافة الهزء او المناقضة ، ولا يتردد اقل تردد في فعل كل جالب للعار ، وسالب للاعتبار ، وجارٍّ الى البوار

القناعة

يغلب ان تكون القناعة مرافقة لقلة الرجاء ، وبئسها اذ ذلك . على انهُ يجب على الطامع بالزيادة والطامح الى الارتقاء ان يبقى على بصيرة من أمره فلا يطوّح بهِ رجاؤه الى ما لا يدرك من الغايات ولا يستقيم من الرغائب

وعلى الانسان ان يكون ذا أمل ، اذ ما أضيق العيش لولا فسحة الأمل . ومَن قل رجاؤه ، انفطر قلبه ، وضاقت حيلته ، ومَن فقده ، فقد كان خيراً له لو لم يولد

لا بد من الزلل

لكل جواد كبوة ، ولكل عالم هفوة . فاذا غلطت مرّة فاستفد من غلطتك ، وخذ لك منها مثالةً تربأ بك من ارتكاب نفس الخطإ ثانية . ولا تخف ان تغلط ، فمَن لا يغلط لا يتعلّم . ولله در القائل :

(مَن قال لا أغلط في أمر جرى فانها أول غلطةٍ ترى)

العاجل والآجل

الحاضر هو وقت العمل . ولكنهُ من الحكمة احياناً ان ننظر الى الماضي والى المستقبل . كثير من مصائبنا تدعوه الينا أفعالنا الحاضرة وكم تروح سعادة سنين مقبلة فدى لذّة ساعة مولّية . وهو صحيح ان عصفوراً في اليد خير من عشرة في الشجرة . ولكن هناك فرقاً . هو ان عصافير الشجرة قد تحلّق في جوّها ولن تدخل القفص ، حين ان المستقبل آتٍ لا محالة . ناهيك بما في نفس الرجاء وانتظار الخيرات المستقبلة ، من اللذّة الفكرية ، خير اللذّات

الشجاعة

يجب على الانسان قبل كل شيء ان يكون رجلاً ، بما في الرجولية من الشجاعة والاقدام ، وقوّة الارادة ، وشدّة البأس . والشجاعة ليست خلة او فضيلة فقط بل انها خلق طبيعي في المرء . ويقال يستحسن الجبن واللطف في النساء ، ويستقبحان في الرجال ، والأصح ان الرجل يجب ان يكون نشيطاً ولطيفاً في وقت واحد ، كما ان المرأة خير ما تكون عليهِ الرقة والقوة معاً

والشجاعة ولا ريب غير التسرُّع والتهوُّر . فهي لا تقوم باحتقار الاخطار والمصاعب بل بمقابلتها بالحكمة والبأس الممكنين . لا بسالة في اقتحام مهلك لا نجاة منهُ . ولكن اذا هجم العدوّ وكرّ

فالخوف منهُ يزيد الموقف حرجاً والمفرّ الوحيد منهُ، ان تكرّ عليهِ. وتوليةُ الاعداء الظهور حرصاً على الروح، هو الجهالة وتسليم النفس للقتل بعينهما

من الحكايات القديمة، ان غزالاً أجفله سقوط ريشة قربه، ففرّ هارباً من هذا الخطر الذي خالهُ عظيماً الى الوقوع في حبائل الصيادين. ومنها ايضاً، ان جيشاً عرمرماً رأى عن كثب غباراً أثاره قطيع من الغنم، فظنهُ العدوَّ مقبلاً مفاجئاً، فشمروا عن ساق الهرب وما عتموا ان تواقع معظمهم في هشيمٍ فهلك

فابقَ راثقاً مستبسلاً، وانتزع الورد من بين الاشواك، بدون ان تمسّ بأذى. او تبعاً للمثل الشرقي، اسعَ على أقدام القناعة تحت أذيال الأمان

اذا أردتَ ان تطاع فسل ما يستطاع

(وان لم تستطع شيئاً فدعهُ وجاوزهُ الى ما تستطيعُ)

يقال القناعة غنىً، وما أصح هذا القول احياناً! ويقول غوثة الشاعر الالماني الكبير: سرّ النجاح طلب القليل المفقود، والتنعم بالموجود. فلا تغالِ في الطلب ولا تستبطء اجابته. فان من تأنّى نال ما تمنى

كل حال تزول

(أيها الحامل هماً ان هماً لا يدوم

فكما تمضي المسرّا ت كذا تمضي الهموم)

وعقيب الظلام الضياء ، وبعد الشتاء الربيع . فاذا بتَّ على همك ربما صحوت عنهُ

يا ايها القلب الكسير لا تيأسنْ مما يصيرْ (١)
فاذا الغيوم تلبدت فوراءها شمس تسيرْ
والدمع مثل القطر أو مثل الندى فوق الزهورْ
ولكل مرءٍ يوم حز نٍ تلوه يوم السرور

التجارب والرجال

(ان الرجال صناديق مقفلةٌ وما مفاتيحها الاَّ التجاريب)

فمن ألمت بهِ مصيبة وابتليَ بما لا يطيق ، وهجم عليهِ جيش الهم والغم بسود راياته ، فما عليه الاَّ ان يعدَّ من حزمه قائداً ويجرد من عزمه عسكراً ويصلى المصائب حرباً عواناً ، يبلي فيها احسنَ بلاء ، مسدداً سهام الأمل والرجاء في اكباد البلايا — فيكون بذلك قد لقي فوائد عظمى ، لأن من تسلح باللائق والواجب وحارب الايام بهما فكم عسى ان تسمو مبادئه وتكبر نفسه

لا خير في النأس كل الخير في الأمل

اصل الشجاعة والاقدام في الرجل

---

(١) لو نفلو

والدهر يومان يوم لا اضطراب بهِ
ويوم خوف يراه المرء بالوجل
ومن يك الحزم والاقدام عدتهُ
يلق المصاعب لا يخشى من الفشل
وما التخوُّف واليأس المميت سوى
جهـل ومَن يعرف الأيام يتسل
كن ذا رجاء يظل العيش ذا سعـةٍ
(ما اضيق العيش لولا فسحة الأمل)

الفصل الخامس عشر

« وجوه الاحسان »

يجب علينا ان نفعل بالغير ، كما نريد ان يفعل الغير بنا . ولكن فوق ذلك ينبغي لنا ان نحسن الظن في الناس ، وان نتكلم عن الناس كما نريد ان يظن الناس فينا ويقولوا عنا . واذا كنا لا نتساهل ولا نتسامح مع الناس . فبأي حق نتقاضى تساهلهم وتسامحهم معنا

بعضهم يظن انهُ يتغلب على كل المشقات بالعنف والقوة ، ولا يفتأُ يحاول ذلك ويُخفق سعياً . وبعضهم مستعد في كل أين وآن لأن يُنكر ذاته ويتفانى في خدمة الآخرين

وقليل قليل مَن ينتبه الى الطفيف من أعمال اللطف والاحسان ، التي على حقارة شأنها ، لا تزيد الفاعل الاَّ فرحاً وسروراً داخليًّا

مقابلة الاذى

كثيراً ما تتألم وتتمرمر من مؤذينا ، اكثر مما تقتضي الأذية ، ونحقد ونوطن النفس على الاشتفاء بأخذ الثأر ونزيد الجرح ايلاماً ، ونسوم الضمير ما قد يميتهُ . ومن المعلوم ان مَن تعمد أذى الغير ، فقد أذى نفسه اولاً ، كالنحلة اذا لسعت فأقلُّ ما يصيبها فَقْد حُمتها سلاحها الوحيد

يقال ان نوعاً من الرّخم والعقبان لا يشمُّ الاَّ روائح الجيف ، وان نوعاً مؤذياً من السلحفاة ، يبدأ بالعض واللدغ قبل الخروج من البيضة ، ويموت وهو يعضّ ويلدغ . وكذلك بين الناس من همهم الوحيد استطلاع طلع الغير وانتقادهم ، والتعريض بهم . على ان الإعجاب بالغير واظهار الارتياح لما هم عليهِ من الخلال والصفات أسلم وأحكم . والانتقاد ان لم يكن في محله وآتياً عن طريق النصح والاخلاص ، فما احرانا بالابتعاد عنهُ كل الابتعاد

جرّب دائماً ان ترى الخير والجمال في كل مَن حولك وما حولك تجدهما

الرفق

اصبر على الغير دائماً . نحن نعلم ان الأولاد اذا أزعجوا وأقلقوا راحة البيت ، ففي تسع مرّات من عشر ، يكون تألمهم لجوع او خلافه سبباً في ذلك . وكم في العالم من كبارٍ ، هم بالنسبة الينا كالصغار ضعفاً وقصوراً . وكم من مرّة اذا وقفنا على احوال من تتوهم فيهِ قصد اهانتنا والاجحاف بحقوقنا ، وجدناه مستحقاً حلمنا لا غضبنا وسخطنا

ومن الامثال السائرة : اذا عُرف السبب بطل العجب ، ومنها : لا تلم الغائب ، بل اذا حضر فافحص وتحّص أمره ، وغالباً ما تلفيه بريء الساحة

وكيف نستحلّ ان ندين الناس ونحكم عليهم كما يخيل لنا ويتراءى ، وخلايا الدماغ محجوبة عنا ، وخفايا القلوب لا يعرفها الاّ الله ؟

ولربما كان التشويه ، الذي تراه في وجه من تعيبه وتستشينه ، سمةَ ابلائهِ البلاء الحسن في موقعة شهدها وجاهد فيها

فالله وحده العالم بذات الصدور وهو الديّان العادل الرحوم

اظهار الاستياء والاغتياب

لا أقول انهُ لا يحسن بالمرء ان يستاء من بعض الامور . فان عدم الاستياء مما يمجه الذوق وتأنفه النفس ، مخالفة للطبيعة . انما أقول ان اظهار الاستياء ، قلما يفيد ولو قليلاً . . فاذا لم يكن عندك كلام لطيف رقيق تعبّر بهِ عما يقوم في نفسك ، فالأفضل ان تصرّ على عدم اظهار ما تضمر ، ذاكراً قوله

(ومن ذا الذي ترضي سجاياه كلها كفى المرء نبلاً ان تعد معائبه)

وهذا يذكرنا بالاغتياب وساق الغائب بألسنة حداد ، طعناً وذماً . وأنكى ما يجري من هذا القبيل ان يكون المغتاب نفسه من أشدّ المتوددين المتزلفين المدّاحين لمن يتعمد غيبته . فاذا وُجدت في مجلس ارتفع فيهِ تيّار الاغتياب ، وذكر الغير بالقبيح ، فمالك من المساهمة والمجاراة ، مردداً في نفسك :

(ان شر الناس مَن يمدحني حين يلقاني وان غبتُ شتم)

الرفق بالعجماوات

من المسلّم انهُ لا بدَّ للانسان من اعدام بعض الحيوانات . فبدلاً من أن يوجد فينا هذا الفكر القسوة على المخلوقات الضعيفة ، فلماذا لا يبعث فينا روح الامتنان لها وفكرة وجوب معاملتهـا بالرفق طالما هي حية على الأقل ، وسواء اعتقدنا ان للحيوان نفساً أم لم نعتقد ، فان له لا مراء روحاً تزهق وحياةً تنتهي . ومَن راض نفسه على الاشفاق على العجمارات صار أقدر على الرفق باخوانه و بني جنسه . ومَن أحب مخلوقات الله وعباد الله فهو خائف الله ومخافة الله رأس الحكمة

الرحمة

من صفات الرحمة ، انها لا تغتصب . فهي مثل القَطر اللطيف الذي تجود بهِ السماء على الأرض ، فتروي ظمأها . والرحمـة بركة مزدوجة ، تحل على صاحبها وموضوعها على السواء . . وهي ان تكن في الملوك ، فأفضل ما فيهم . فقوة الملك في صولجانهِ وعرشهِ ، ولكن رحمته في صدره ، وفي قلبهِ ، وفي الحبَّة منهُ . والرحمة صفة من صفات ذي الجلال الاقدس . وهي قرينة العدل ، وأُولو الفضل ابناؤها

الصدقة

نقول الاحسان والصدقة مترادفان . ولكن الكرم والسخاء بالصدقات، ليس الاَّ وجهاً واحداً من وجوه الاحسان . ناهيك بما في التصدّق على المحتال (النصاب) والكسول الذيء المدعي العجز ، من الضرر الفاحش الذي يلحق بالانسانية والهيئة الاجتماعية

فالاحسان المرادف للحلم والصفح ، والانعطاف على مَن يمسنا بسوء ، هذا هو الوجه الذي ندعو اليه ، ونحض عليه

والآية الذهبية ، أن آنسَ ما يصيبك من الأذى ، وحاذر ان تنسى ما تصادف من الحسنى

ولا بدع ان شبه أحدهم لسان الولد العقوق بلسان الأفعى ، فانهُ يلدغ القلب ويسم دمه ويفسده . والذين لا يعفون عن غيرهم فلا حقَّ لهم ان يفوزوا بعفو الغير

الفصل السادس عشر

« الشيم والخُلق »

حياة المرء افعاله واقواله ، لا أيامه واعوامه . وانما العبرة بالاخلاق والشيم . ولله در القائل : قف مرَّة مفكراً متأملاً ، ووطد النفس على ان لا تتردد في طاعة الضمير ولا تتوانى في الامتثال لامره والارتداع لنهيه ، تكن لك تلك الوقفة أم البركات مدى الحياة .

الواجب

تأجيل القيام بالواجب واهماله ما زاد سعادة ولا يزيد . والعاقل من كان مصداقاً لقول الشاعر وردسورث :

فتىً يزدري طبعاً بكل المخاوف ... وليس بها مثل الجبان بواقف
اذا ما دعته الواجبات اجابها ... وأعلى شراع العزم رغم العواصف
وان صادفته بالالوف مخاطرٌ ... يقابلها والله عونُ المُصادَفِ
ولا يتّقي الاَّ الذي يُسعد التقي ... فليس لغير الله اصلاً بخائف

الافتقار الى واحد

الى مَ يحتاج طالب الفلاح في الحياة ؟ شيء واحد لا غير يعوزه فما هو : المال ؟ لا ! القوة ؟ لا ! الذكاء ؟ لا ! الشهرة ؟ لا ! الحرية ؟

لا ! الصحة ؟ حتى ولا هذه الضالة المنشودة ! بل الشيَم ، وارادةٌ غلاَّبةٌ على الهوى . ومَن كان ضعيف الارادة يعرف ولا يقدر ، فهو مسكين يرثى لحاله

وخلقك كما تختار ان يكون . ان شيمنا في حيز ارادتنا . اذ لا يمكن ولا هو من الضروري ، ان يكون كل الناس شعراء او موسيقيين ، او فحول علم . ولكن من الواجب على الانسانية ، ان يكون كل ابنائها كما يمكنهم ان يكونوا في ما سوى المواهب والفُطَر الطبيعية الموزعة على الافراد . فالاخلاص والوقار ، والاحتمال والتجلد ، وكره الفخفخة واحتقار التنعم بالملذّات ، وكرم الاخلاق ، وحرية الضمير ، والشهامة وعدم الميل الى الافراط والتلف والعبث ، — كل هذه الصفات ، ممكن تجليها فيك ايها الانسان ، ولا عذر لك ان كنتَ لا تظهرها في تصرفاتك من يوم الى آخر

رأيك مصيب لو عملت به

لا اريد الاستقلال بالرأي والاستبداد بهِ . بل اعني انك اذا قمعتَ نفسك عن فعل ما تشعر بأنك تخجل بفعله من ذاتك طالما هو مستور ، ومن الناس اذا انفضح ، فأنتَ حكيم في أغلب الأحيان

وقال سينكا ما يقابله قول المتنبي :

(تصفو الحياة لجاهلٍ او غافل عما مضى منهـا وما يتوقعُ)

ولكن ذلك بئس الصفآء ، فهو الكدورة المعوفة بعينها

طريقة فرنكلين

فرنكلين احد رؤساء جمهورية الولايات المتحدة ، الخالدي الذكر والذي أفادنا بجملة نصائح ، اختطَّ لنفسه خطة يقال انهُ اتبعها ، وكانت سبيله الى النجاح . وهي انهُ نظَّم له لائحة صفات شريفة ، وعادات قويمة ، وجعل يروض نفسه عليها تدريجيًّا ، مقيماً على الواحدة حتى اذا أنس تملكها من نفسهِ ، انتهى الى غيرها وهلمَّ جرًّا . واليكَ اللائحة : تجنب المسكر ، الرواق والسكينة ، الترتيب ، العزم ، الاقتصاد ، الشغل ، الاخلاص ، العدل ، الاعتدال ، النظافة ، السلام والطمأنينة ، العفاف ، الوداعة

ولكن على فرض ان هذا الرجل العظيم قل انهُ فعل ذلك ، وأشار بفعله على كل واحد ولكنهُ لم يفعل ، فأي عار وشنار على حد قول الشاعر :

(لا تنهَ عن خلقٍ وتأتي مثله عارٌ عليكَ اذا فعلتَ عظيم)

طلب العلى

كن طمَّاح الطرف ، بعيد الشأو ما استطعت . لأن من لا ينظر الى الامام ، فالى الوراء ينظر ، واما ان يلزم محله أو يتقهقر

الشهرة

قال جون بايلي :

لا تقل لي الشهرة اسم فارغ وهي آفاق الدنى قد طبقتْ
فصدى ذكر الذى نال العلى يفرج النفس التي قد ضُيقتْ
ولكم من ميت شهرته في فوأد الحدث نار احرقتْ
فالتظت من حرهـا همته والى نيل المعالي انطلقتْ

على ان المطامع لا نهاية لمجراها ، ومهما بلغ الموفق سعياً في حياتهِ فانه يموت وفي النفس اشياء

ساعة المجد تساوي الف عام دون مجدِ
هكذا قالوا ولكن أي قول دون ردِ

***

ولدٌ في البيت يافي نفسه من خير ولدِ
ويرى الايام تمضي وهو في جد وكدِ
ويرى قصراً معداً وهو في القصر المعدِ
وينادي ليس قبلي لا ولا بعدي ندّي

***

واذا الطفل عجوز وله الأيام تبدي
عن مديح الناس سدت اذناه كل سدِ
ماله الطـائل باقٍ ويراه ليس يجدي

والاكاليل وشيب الر اس ضد فوق ضدِ
قلبه مات وما الشهـ ـرة ان ضاعت كندِ
فهو يستجدي جميلاً والمنايا ليس تجدي
ويقول : القبر يحوي كل ما نلت بجدي
بعد كل الجـد القى في ترابي وجه جدي
ليس يبقى غير حبي في الأُولى يحيون بعدي
فسواه كل شيء زائل من غير بدِ

والحب الذي يخلفه المائت ، هو نتيجة الأعمال الخيرية النبيلة التي قام بها في حياتهِ . اما مجرد الشهرة والمجد فباطلان . لان الظالم يتمجد بظلمهِ ، والكافر قد يشتهر بكفره . وكم من غرّ بقصد الاستئثار بالشهرة الذاتية ، يتفانى ويهلك نفسه ، ولا يكون الا ككاسر مزراب العين ، الذي انما فعل ذلك ليذكره اهل قريتهِ ، فذكروه ، ولكن بماذا !

المقام والمسؤولية

علو المقام ترافقـه مسؤوليات كبرى . فذلك الملك الذي بكلمة من كلماته منوطة حياة الالوف ، ما أثقل تاجه على قلبه ورأسه ! ومن ليس من علو المقام على شيء سوى الاسم ، فتباً لحياته من حياة ، كمثل ماري دي مديسي ملكة فرنسا ، ووكيلة سلطنة فرنسا ، وأُم ملك فرنسا ، وأُم ملكة اسبانيا ، وأُم ملكة انكلترا ، واميرة

سفواي ، تخلّى عنهـا بنوها ونبذوها نبذ النواة حتى انها ماتت في تولون ، في حالة زريئة ، تقريباً من الجوع ، بعد ما قاست ما قاست في غضون عشر سنين ، من شديد الاضطهاد والاحتقار

العلاء الحقيقي

لتطمح نفوسنا الى السؤدد والسلطة على النفس . فان كل فرد ملك مطلق او مقيد على امور نفسه . والتقدم او الترقي الحقيقي هو ان نعرف اكثر مما نعرف ، وان نصير في الغد أحسن منا اليوم ، وان نعمل فيما بعد اكثر مما نعمل الآن . وهذا التقدم لا نهاية لسبيله ، ومع كل خطوة نخطوها تزيد طريقنا أماناً وسلامة

نعم ، اعظم شرف للانسان ان يقوم بواجباته

ويقال ان القائد ولنكتن ما كان يذكر كلمة مجدٍ او فخر في كلامه ، بل كان دائماً يكرر لفظة « واجب ! واجب ! »

الصدق والامانة

كن صادقاً وأميناً في كل قول وعمل . ولقد أجاد ريختر بقوله ان اول خطيئة على الارض — ولحسن الحظ الشيطان هو الذي ارتكبها — كانت بسبب شجرة المعرفة ، وكانت كذبة

الصدق أنفذ سياسة ، وحبل الكذب قصير . الهرب من الصدق شهادة على الهارب بأنهُ يخشى الانسان ولا يخاف الله

وحسن بك ان تخجل من فعل المنكر ، لكن اذا فعلته فلا تزد ان تنكر . بل الأوفق ان تعترف بمنكر تخلصاً من منكرين

الخلال التي تؤلف رجولية الرجل العظيم عديدة . ولكن هنالك خلةً بدونها لم تُعش حياة عظيمة ، ولا أُنجز عمل خطير ، وهي الصدق . انظر الى العظام ، تجدهم صادقين نحو أنفسهم ، ونحو غيرهم ، بفضل شجاعتهم الادبية

ضدان

(ضدان لما استجمعا حسنا والضد يظهر حسنه الضدُّ)

ضدان قال الشاعر وردسورث يتحتم ان يجتمعا – الاستقلال والاذعان ، الاعتماد على النفس والانقياد للغير

تعلّم ان تطيع وتمتثل الأوامر اولاً ، تستتب لك الطاعة والإمرة بالتالي . وكل مَن توصل الى قيادة الجنود كان في بدء أمره جنديًّا أهم صفاته الطاعة واللين

وقد مرَّ بنا ان رجل الدنيا وواحدها مَن لا يعوّل في الدنيا على رجل ، ولنورد الآن :

(شاورْ سواكَ اذا نابتك نائبة فانما انت في دار المشوراتِ
فالعين تبصر منها ما دنى ونأى ولا ترى نفسها الاَّ بمرآةِ)

القوة والضعف

لقد ألفنا قرن شدة الميل بالقوة ، وقلة الاندفاع بالضعف ، مع ان

هذه الآية اولى بالعكس . فالميل مع الهوى ، هو الضعف بعينه ، ومقاومته هي القوة بعينها

والاميال والشهوات تضعف مع التقدم في العمر ، اما قوة التجلد والارتداع فتقوى وتزيد شدة

شيمة الحاكم

من اهم شيم الحاكم العدل ، اذا توليت امور الناس ، فكن عادلاً وتحرَّ الحقيقة ، واقفاً عليها وقوف ضنين ضاع في الترب خاتمه

والشاعر الفارسي سعدي يخبرنا عن ملك شرقيّ ظالم ، أمر بقطع رأس بريء ، فخاطبه هذا قائلاً :

ألا احذر ايها الملكُ ولا تهلك كمن هلكوا
دمائي الآن تهدرها وروحي يقبض الملكُ
وللآباد نفسك يا ظلوم تظل ترتبكُ

فالقوة تسكر ، وقد تحمل على الطغي والبغي والتجبر . ولكن في كل حال ، لا تفكّر في ما تحب ان تفعل بل في ما يجب ان تفعل تعش سعيداً

العقاب والثواب

البر خير ما في البرية . نحن نحذر العقاب ، ونرجو الثواب . ومن يعاقب ومن يثيب ، وأين ؟ نحن ، وهنا . نظام عالمنا مرتب ،

بحيث ان فعل الخير يجلب الفرح وفعل الشر يدعو الترح

غفران الخطيئة لا ينفي المجازاة عليها ، وهو ليس مستحيلاً فقط ، بل من البلاء ان يكون العكس . اذ لا مصيبة اكبر من التوفّق الى المعاصي والآثام والشرور ، لأن تذكاراتها ترافق فاعلها كأرواح تعذبه طول العمر

السلوك والتصرف

السلوك هو الحياة . والسعادة ليست بالأحوال ، كما هي بالتصرف فيها . فاسهر على تصرفاتك ، وحاسب نفسك يوماً فيوماً

ولقد أقلَّ ودلَّ بوردمان بقوله الآتي :

ازرع فكراً واحصد فعلاً — ازرع فعلاً واحصد عادةً — ازرع عادةً واحصد خلقاً — ازرع خلقاً واحصد قضاء وقدراً

والعادة خامس طبيعة ، مثل سائر

نحن ننمو قليلاً كل يوم ، ولكن أعلى اعوجاج أم على استقامة

الناس صنفان

الجنس البشري ، صنفان ، فاعلو الخير وفاعلو الاثم

فمن كان من الثاني فهو المحوّل اصدقاءه الى اعداء ، وذاكرته الى مصدر آلام ، وهناء الحياة الى شقاء ، والناظر الى العالم كسجن ، والى الموت برعب . حين ان ابن الصنف الأول اذا كان لا يفعل

اكثر من تنشيط بائس ، وابهاج كئيب ، ولو لساعة من الزمان ، فهو ملاك بصورة انسان ، يرى الدنيا وكل ما فيها بعين السعادة والهناء

الخلو بالنفس

لو ان كل انسان يخصص ساعة او نصف ساعة من كل يوم ، ليخلو بنفسه ، ويتأمل مجاريات يومه ، ويزن نفسه فيراها راجحة او ناقصة ، فما عسى ان تكون الفائدة والنتيجة للانسانية

ومن يقول ، ليس عندي وقت كان الأولى بهِ ان يقول ، ليس عندي ارادة . . .

الفصل السابع عشر

« سلام الحياة وسعادتها »

مجرَّد نجح المساعي والتوفّق الى الرغائب ، لا يتفقان دائماً مع السعادة الحقيقية وجوداً . وكم من عريض الجاه ذي ثروة طائلة لا تراه الاَّ كئيباً ، شاحب الوجه ، قانطاً من الحياة . فالطبيعة قد تمنّ على صفيّها القوي بالمال والقدرة ، وعلوّ المرتبة ، وطول الحياة ، لكنها تعجز عن اسعاده السعادة الحقيقية . لأن مَن لم تكن أزهار السعادة حية في نفسهِ ، فلا بهجة الطبيعة ولا ملاذ العالم بأسرها ، تجعله سعيداً بالمعنى المراد . فالسعادة موقوفة بالاكثر على تسلط المرء على افكاره وعواطفهِ لدرجة ان ينفي كل فكر موئلم من رأسهِ ، وكل عاطفة مُرَّة من صدره وألاَّ يتذكر الاَّ الجميل المسرّ من مواضيه

فالسعادة من هذه الحيثية أشبه بفنٍّ جميل ، لا بدَّ دون النجاح فيهِ من المزاولة والممارسة . ومن يفتش عن المسرَّات تفتيشاً ، ويتطفل على أبوابها تطفلاً ، فهو ممن لا يَلقون الاَّ القليل المبتذل منها . فليكن من رغبتنا في المسرَّات اننا نعيش كما ينبغي لنا ان نعيش ، واثقين من انها توافينا من تلقاء ذاتها

البشر وحسن الطوية

تلقَّ الناس بالبِشر والطلاقة ، ولا تسعَ وراء التسلي والتفكه سعياً

ولكن ابقَ مستعداً لاغتنام فرصهما كلما سنحت . والذوق الهزلي الذي يحسّنُ المداعبات ومطارحة الحديث النكتي عطية خُصّ بها الانسان . فالمجماوات لم يبقَ من شك في انّ بها مسكةً من الفهم ، ولكنهـا خالية من حب الابتهاج والجذل . والضحك مظهر سرور النفس . قال فيهِ شامفورت : أولى الايام بالتأسف على فواتهِ يوم لم تضحك فيهِ

لا بد من اثنين لاحتدام الخصام والشقاق . . فلا تكن انت واحداً منهما – وان لم تكن ، فمن خصمك ومن يناوئك

وبعض الناس لا يُلقون الاَّ متململين متبرمين ، ولو أسكنتهم جنّة الخلود لأوجدوا لهم عللاً للتذمر واسباباً للشكوى . والبعض الآخر اينما التفتوا فالبركات والنعم تحفّهم وهم بها متمتعون . وما أجمل ما قاله الشاعر موريس بهذا المعنى :

ان ارض الشقاء تغدو سماء بهجةً بل سعادةً وهناء
لو قبرنا تحت التراب ارتياباً يجلب الخوف للقلوب افتراء
ورجونا وظل حيّا رجانا في حشانا بأن ننال الرجاء
وعشقنا وزهرة العشق عاشت لا تُعاني من الخنا إذواء

والجذل دواء النفس . وكما ان حرارة الشمس تنبت الازهـار وتنضج الاثمار فهكذا الجذل – الشعور بحرية الحياة – ينمي فينا نبت الخير ويخرج أحسن ما في نفوسنا من مستودعات الطبيعة . زد على ذلك ان البِشر والطلاقة واجب علينا اظهارهما ، بقدر ما يطلب من

الانسان ان ييسر سعادة الناس ويزيد في هنائهم . ومن الخطإ الفادح والأقوال التي لا صحة فيهـا ان الجذل دليل الخفة وصغر العقل — ولتكفِ الاشارة الى ذلك

المصاعب لا تشقى

كثيرون يخلقون للكدح والنصب . وهذا القول لا ينطبق على ذوي العسر فقط ، بل يتناول ذوي اليسر ايضاً . فكم من تاجر مسلوب الراحة ، لكثرة ما يتراكم عليه من الاعمال التجارية ، مما لا بد له حرصاً على ماله . أجل لا بد لنا في هذه الدنيا ان تدهمنا المصائب . ولكن اذا عرضت لنا العقبات فعلينا ان نتجاوزها . فمن ثم يترتب علينـا ان نزين جدران الدماغ بصور التذكارات الجميلة ، وان نملأ قاعة الصدر بتماثيل الآمال الكبيرة . واذا كنا لا نملك زمام العقل ونحن نيام فتزعجنـا الاحلام المخيفة ما تزعج ، فلا اقل من استلامه في اليقظة . ومَن عدم حتى هذه القوة فيا له من ضعيف

والكل يحبون ان ينعموا في هذه الحياة ، ولكن قليل مَن يعرف كيف ، وبماذا !

التوهم

نتوهم غالباً ان جروحنا قتالة قاضية ، حين انها ليست الاَّ خدوشاً قريبة الشفاء

روى احدهم ان طبيباً استدعي لحادثة كان قد عرف قلة أهميتها وأدرك توهم مستدعيهِ ، فأرسل في الحال يستحضر جفصيناً ، فقالوا له هل الجرح مخطر لهذه الدرجة ؟ فأجاب : لا سيدي ، ولكن أرجو ان الرسول يتأخر قليلاً في ارساليتهِ حسب عادته ، فلا يعود الاَّ وقد طاب الجرح

والوقت يشفي جراح الجسد وكلوم النفس أيضاً

الكل يتوقون الى نعيم السماء ، ويرهبون شقاء الجحيم ، والعجيب انهم يفضلون مسرَّات هذه الحياة ولذَّاتها وشهواتها الزمنية على امجاد تلك الدار الباقية ، فكأنهم لا يعرفون أيًّا يحبون وأيًّا يرهبون

أما الخوف من الموت فهو وهم باطل ، والحقيقة الراهنة انما هي حب الحياة . ومن أحب الحياة وعاش كما يجب ان يعاش فهو الحذور الحكيم ، السعيد في حياتهِ وبعد موته

الطبيعة وبنو الانسان

لسان حال الطبيعة ذاتِ الجمال البديعه
اني لديكم ألقي ما تشتهون وديعـه
تمتعوا بجميـلي لا تجحدوا لي صنيعه
فالزَّهر مني لعين ترنو اليَّ مطيعـه
وكل لحن رخيم لكلّ اذن سميعـه

ومن يراعِ حقوقي حيناً ويعصَ الشريعه
يرَ التلطف مني ومنهُ كل فظيعه

***

فانني امّ حسنٍ ولستُ امًّا مريعه
ما رائع غير حسني وكيف حسن الطبيعه؟

هذا هو لسان حال الطبيعة لمن يعرف نواميسها، ويراعي شرائعها ولا يحيد عن سننها

السعادة

حكاية فارسية :

ملك ضاقت البرية فيهِ بعد ضيق في الصدر أحرج نفسهْ
فاستشار الكبار من وزراه فأشاروا بما يطابق حدسهْ
اذْ أشاروا بلبسهِ لقميصٍ لسعيد عليهِ يخلع لِبسهْ

***

فأذاع الجنود في كل صوب ليوافوا بما يروّق كأسه
فقصور الحكام جاؤا وجاؤا كل مثرٍ والكل صعّد رأسه

***

وأخيراً عادوا وكل كئيب للمليك العاني ليظهر يأسهْ
صادفوا في الطريق شخصاً حقيرًا وأتاه من قد توسّم أُنسهْ

ورأى انهُ سعيـد سعيـدٌ يشكر الحظ لا يلوّم نحسه
أخذوه الى المليك ولكن لا قميص تكسوه . . . . . .

انواع الحاجات

رغائب الانسان ومشتهياته ، على حد قول شيشرون ، نقلاً عن فلاسفة زمانه ، على ثلاثة انواع ، — طبيعية ضرورية — طبيعية غير ضرورية — غير طبيعية وغير ضرورية. فالأولى تقدمها الطبيعة الجوادة. والثانية ، تتيسر وتتوفر . اما الثالثة ، فما اكثرها ! بل كم يكثّرها الانسان ، ويتعلق بها ، ويلح في ادراكها ، ولا يعرف في اتباعها اعتدالاً

فمحبة الذات والانهماك بشهوات النفس ، ما هذان ، بل نكران الذات وكبح جماح الاهواء ، مجلبة للسعادة

ما نطلب وما يجب ان نطلب

نطلب اموراً كثيرة . نرغب في ان يكون لنا صوت انتخابي ، نطلب الحرية ، نطلب المسرات ، نطلب المال

فليت شعري ! من منا يشعر بافتقاره الى السلام الداخلي ؟

وكيف يحصل عليه ؟ هكذا . . . اجعل رأسك وقلبك عشّي افكار وعواطف سارّة وشريفة . قرأنا في صغرنا عن غرائب الجن ، ولا يزال يغرب عن اذهاننا اننا بمخيلاتنا يمكننا ان نبني قصوراً شاهقة ، وننشيء حدائق غنّاء . فالمخيلة المتألقة بخيالاتها الباهرة الجميلة ،

والحافظة الحية بتذكاراتها الحلوة ، والسيرة المملوءة اعمالاً حميدة ، والاقوال الصادقة ، وامثال هذه البركات ، مما لا يؤثر بهِ همّ ، ولا يشوبه ألم ، ولا يسلبهُ فقر

هذا هو السلام الداخلي ، هذه هي السعادة

الموت

ولماذا نخاف الموت وهو الشر الوحيد الذي لا نشعر بوجوده . طالما نحن موجودون فهو معدوم ، واذا وُجد فنحن معدومون

الفصل الثامن عشر

« الدين »

ترددت طويلاً في تعريب هذا الفصل ، وقد قرأتهُ مراراً . وبعد ان كدت أُنجز تعريبه خطر لي ان أثبت هذه الأبيات المستمدة روحها من عباراتهِ وشواهده الكتابية

الدّين لله ليس الدين للبشرِ الدين بالفعل ليس الدين بالنظرِ

***

ولا غرابة ان تكثرْ مذاهبنا اذا ارتحلنا وكان الكل في سفرِ
وما إقامتنا فيها بدائمةٍ لكنها تنتهي مع آخر العُمُرِ

***

الله في كونه بالقلب نعرفهُ لا بالسماع ولا باللمس والبصرِ
افهامنا ابداً ليست لتدركه مهما تطلْ باعنا نفضَلْ أُولي قصرِ

***

نحيا على كرَة من كون قدرته بجسم تُرب بُعيد الموت مندثرِ
وان نظرنا الى الافلاك دائرة فكلها عِبرٌ تبدو لمعتبرِ
فانظر اليها وقل سبحان عزته رب القضاء ورب الحظ والقدرِ

***

وفي ضميرك صوت أمرُه حكمٌ ونهيه حِكمٌ من آيهِ الغررِ
ما الدين بالكتب واللاهوت أفضله بل بالشعور بفرض بالنجاز حري
وليس شغلاً له وقت نمارسهُ فيهِ وفي غيره خلواً من الخطرِ
بل انهُ عوننا في طول رحلتنا وفي معونتهِ ننجو من الخطرِ
وكم تهبّ رياح المكر عاصفةً وتصطلي نار حقد الناس من شررِ
وكم تلمُّ وتبلونا مصائبنا وكم نصادف سعداً غير منتظر
وكم تهون لنا الآثام طاغيةً بكل شر حديث العهد مبتكر
وكم لنا في سبيل الخير من حجر وواجب فعله مع عثرة الحجر
فالدين قوتنا والدين حكمتنا والدين ملجأنا من كل تي العِبر

***

الله يخلقنا خلقاً ويتركنا نقضي الحياة وبردينا على غرر
ولست ادري أفي ذا اليوم دعوتنا أم بعد حين وربي بالجميع دري

***

ورسله شرحوا متن الحياة لنا وعلّمونا بوحيٍ منه منحدر
وخير ما نطق الرسل الكرام به أمر الانام بحب غير مذدخر
ومن يحب حبيباً كيف يظلمه أم كيف يصبح فيه غير ذي فكر
ومن يحب عدوًّا كيف يقتله ويغضبُ الله بالتشنيع بالصور
والحب افعل دين قد يُدان به تأثيره ظاهر في الذئب والنمر
وكم نرى آدميًّا لا حنانَ بهِ يطغى ويبغي بقلب غير منفطر

والله يكرم ذا حبّ ومرحمة ذا قلب حلم على الاخوان منكسر

***

والله يسمع من يدعوه عن ثقةٍ وهو الصبور يجازي كل مصطبرِ
يرى العوالم بالانسان مفتخراً وليس في غير ذي عقلٍ بمفتخرِ
الطير يرزقه والوحش يشبعه والعشب يرويهِ من قطرٍ ومنهمرِ
فليتقِ الله ذا الخلق المعزّز ولـ يعبدهُ بالقول والأعمال والفكرِ

***

والمرء يولد طفلاً قد يموت على ذاك السرير وقد يحيا الى الكبر
فليفهمنّ الذي يحيـا بلا رِيَبٍ معنى الحياة وحبّ الله والبشرِ

فهرست

	صفحة
كلمة الاهداء	
كلمة للناشر	
مقدمة الطبعة الأولى	
مقدمة الطبعة الثانية	
المسألة العظمى	١٢
سلامة الذوق	٢٨
المال	٤١
تجديد القوى	٥٢
الصحة	٦٢
التهذيب والأمة	٦٩
تهذيب المرء نفسه	٧٧
المكاتب	٨٦
المطالعة	٩٥
الوطنية	١٠١
الحياة الاجتماعية	١٠٤
الشغل والاجتهاد	١١٣

صفحة

الايمان بالله	١٢١
الأمل والرجاء	١٢٣
وجوه الاحسان	١٢٩
الشيم والخلق	١٣٤
سلام الحياة وسعادتها	١٤٤
الدين	١٥١

السعادة والسلام

تأليف اللورد اڤبري

وتعريب وديع افندى البستانى ب ع

سنة ١٩٠٣ عملت « شركة التراجم الانكليزية » احصاء مدققاً لعدد النسخ التى بيعت من مؤلفات اللورد افبرى الفلسفية الاخلاقية وهاك شيئاً منه نقلا عن مقالة وردت فى عدد نوفمبر الاخير من مجلة الزهور الغراء وأثبتناها فى صدر مسرات الحياة

معنى الحياة : بيع منه ٢٠٠٠٠٠ نسخة انكليزية ونقل الى الفرنساوية والالمانية والطليانية والى اغلب اللغات الحية والاقل شأناً كالبوهمية واليابانية والهندوستانى الخ

مسرات الحياة : بيع منه ٢٥٠٠٠٠ نسخة فى انكلترا وحدها وطبع اكثر من ٣٠ طبعة خارج البلاد الانكليزية

اما السعادة والسلام فهو آخر مؤلفاته ولعله اتمها واوفاها جميعاً . ولم يكد يظهر سنة ١٩٠٩ فى انكلترا حتى ظهرت ترجمته فى فرنسا . وكان المؤلف قد اهدى نسخة منه الى حضرة المعرب فباشر التعريب فى اليمن واتمه فى مصر وظهر الكتاب فى اوائل العام الماضى ولم يبق لدينا من طبعته الاولى الا عدد قليل من النسخ . وهذا مع نفاد الطبعة الاولى من « معنى الحياة » اعظم دليل على الاقبال الذى فازت به مؤلفات اللورد افبرى فى مصر وسورية

يطلب من ملتزم طبعه **نجيب متري**
صاحب مطبعة المعارف ومكتبتها

٥ ثمنه خمسة قروش صاغ ٥

مسرات الحياة

تأليف اللورد افبري

وتعريب وديع افندى البستانى ب ع

حبذا العصر ، وحبذ انتشار الكتب فيه ، وحبذا سهولة اقتنائها

صفحة ٢٦ من هذا الكتاب

اما احلال الكتب محل الاخوان والخلان ، فمما لم يختلف فيه اثنان

« ص ٢٧ »

من احب كتاباً كان له منه صديق امين ، ومرشد نصوح ، وجليس انيس

« ص ٢٧ »

الكتاب دليل الشباب اذ الشباب غرور ، وسلوة الشيخوخة اذ هى عديمة السرور . واذا خلونا بانفسنا وثقلت علينا وطأة الوحشة ، فالكتب تؤنسنا وتسلينا . بل انها تحدثنا فتنسينا همومنا وتقشع غيومنا . وحسبنا ما تخمده من ثائرة الاهواء والشهوات التى تغتنم فرصة الخلو من المرء وتقوده الى شر المهالك والموبقات

« ص ٢٨ »

الرسم الذى فى هذا الكتاب هو آخر رسم للمؤلف . فاذا تأملته وقرأت « لمعة من سيرة المؤلف » فى صدر الكتاب وكنت من المعتقدين صحة الجملة الثالثة اعلاه فانت فرد من مليون يعرفون اللورد افبرى فرداً من ملايين و يعدونه صديقاً اميناً ومرشداً نصوحاً وجليساً أنيسا

يطلب من ملتزم طبعه نجيب متى
صاحب مطبعة المعارف ومكتبتها

ثمنه خمسة قروش صاغ

رباعيات
عمر الخيام

الشاعر الفيلسوف الفارسى

معربة نظماً

بقلم وديع افندى البستانى ب ع

اذا زرت لندرا يوماً ودخلت المتحف الانكليزى وقضيت لبانتك من تأمل العاديات والآثار العظيمة المصرية والفينيقية وقلت : السلام على الشرقيين الغابرين وعلى عظمتهم ! ! فلا تنس ان تزور مكتبة ذلك المتحف وتفتح برنامجها (كتالوجها) حيث اسم عمر الخيام فتعد ١٥٣ — مائة وثلاثة وخمسين كتاباً فى « عمر الخيام ورباعياته » وقد وفق حضرة المعرب الى درس فلسفة هذا الشاعر وتعريب رباعياته فى تلك المكتبة مستعيناً بالانكليزى والافرنسى من هذه الكتب . والكتاب يقع فى ١٤٢ صفحة وقد طبعناه على ورق صقيل توخياً لاتقان النقوش المحيطة بالمنظوم والرسوم التي تمثل خيال الشاعر

وهو مصدر بمقدمة مواضيعها : عمر الخيام : — ولادته ووفاته ونسبه — نشأته — علومه واعماله — فلسفته وشعره . الرباعيات : الرباعيات فى اللغات الغربية — الرباعيات فى اللغة العربية ومسك ختامه كلمة عنوانها « روح الخيام فى رباعياته » بقلم صاحب « النظرات » « والمختارات » السيد مصطفى لطفى المنفلوطى

يطلب من مكتبة المعارف باول شارع الفجاله بمصر

ثمن النسخة مجلدة تجليداً متقناً ١٠ ١٠

روح الاعتدال

تأليف
شارل وانير

تعريب
السيدة وسيلة محمد

شارل وانير من اشهر الكتاب الاخلاقيين الذين ينتقدون العادات والمآخذ والمشارب العصرية عن تجربة واختبار وكتابه هذا فى « المعيشة البسيطة » او « روح الاعتدال » كما وسمته معربته الفاضلة السيدة وسيله محمد خير ما جاد به قلمه فى هذا الموضوع . وكان لظهوره فى فرنسا شأن كبير رددت الصحف والمجلات صداه فى الاقطار الاوربية عامة واقبل عليه الناس اقبالاً عظيما وقد ترجم الى أغلب اللغات الحية . ولما ترجم الى الانجليزية وانتشر فى الولايات المتحدة وقعت نسخة منه فى يد روزفلت فطالعها وأخذ يحث قومه على مطالعة هذا السفر الجليل بل كان من اجلاله له انه كتب الى مؤلفه ودعاه الى اميركا وقدمه الى علية القوم معجباً به و بكتابه

وهو من نوع السلسلة الذهبية « معنى الحياة » و « السعادة والسلام » و « مسرات الحياة » التى ألفها اللورد افبرى فيلسوف الحياة اليومية . ولا يخفى ان حاجتنا اليوم الى مثل هذه الكتب بالغة حد الاضطرار لان تيار تقليد الغربيين والتشبه بهم والتزيى بازيائهم يكاد يقضى على السعادة الشخصية والعائلية والقومية فى مدننا الكبيرة فجدير بنا اذن ان نعرف اقوال الغربيين انفسهم فى ما ننقله عنهم وتقلدهم فيه

يطلب من ملتزم طبعه

صاحب مطبعة المعارف ومكتبتها بشارع الفجاله بمصر

ثمنه خمسة قروش صاغ

مناهج الأدب

وضعهُ

امين بك واصف

مدير القليوبية

علموا اولادكم فانهم
خلقوا لزمان غير زمانكم
(الامام علي)

كتاب فى الاخلاق والاجتماع موضوع على طريقة السؤال والجواب المتبعة والمعول عليها فى تأليف كثير من الكتب العلمية تسهيلا لفهم الحقائق وتوخياً لرسوخها فى ذهن القارىء سواء كان تلميذاً أو مطالعاً

ومن مواضيعه : الحرية — الضمير — المسئولية — شرف الانسانية — النزاهة وحب الذات — الواجب — الادب

ومنها : الجمعيات — الحاجة الى الاجتماع وفائدته — مستلزمات العدالة وفضائلها — معاملة المرء لغير اهل دينه — الاحسان الخ . .

ومنها ايضاً : الوطن والوطنية — الانتخابات — الضرائب — الخدمة العسكرية — الحرية — الاخاء — المساواة الخ . .

وهى كما لا يخفى مواضيع جليلة يستفيد مطالعها الحقائق الراهنة ويتشرب المبادىء السامية — الشخصية منها والعائلية والاجتماعية

يطلب من مكتبة ومطبعة المعارف بالفجالة بمصر

٥ ثمن الجزآن معاً ٥

مكتبة الغرب
لصاحبها
الشيخ يوسف توما البستاني
بشارع الفجالة
بمصر

DATE DUE

JAFET LIB.
08 NOV 2005
Circulation Dept. 2

824.8:A94maAb:c.1
الفبرى ،جون لوبوك، البارون الاول
معنى الحياة: كتاب اخلاقى يبحث فى ش
AMERICAN UNIVERSITY OF BEIRUT LIBRARIES
01031923

American University of Beirut

AMERICAN UNIVERSITY OF BEIRUT
UT VITAM HABEANT ABUNDANTIUS HABEANT
1866

824.8
A94maAb

General Library